العوامل الأساسيةفي إندلاع الثورة وسقوط النظام الشاهنشاهي في ايران ١٩٧٩

الدكتورياسين خالد سردشتي/ قسم التاريخ/ كلية العلوم الانسانية /جامعة السليمانية

اهمية البحث : تعتبر الثورة الإيرانية (١٩٧٨– ١٩٧٩) من الاحداث البارزة والمهمة جداً في تاريخ ايران الحديث بشكل خاص و في تاريخ الشرق الاوسط والمنطقة والعالم بشكل عام، اذ ساهمت جملة من العوامل الداخلية الأساسية السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، الشخصية و كذلك الدولية في خلق ارضية ثورية انطلقت منها حركة جماهيرية واسعة اشتركت فيها مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية من الشعوب الخاضعة للحكم الشاهنشاهي البهلوي في ايران يجمعها هدف واحد وهو إسقاط النظام الإستبدادي الشاهنشاهي وإزاحة محمد رضا بهلوي عن الحكم. في الحقيقة تكمن أهمية الثورة الإيرانية في التغيير الكبير الذي حدث في ايران والمنطقة وما كانت لها من تأثيرات على كل المستويات منذ ذلك الوقت ولحد الآن، كما ان أهمية البحث تظهر في تحقيق وتوضيح ومتابعة العوامل الرئيسية للثورة وتداخلها تأريخياً بشكل يقدم نظرة اكثر شمولية وواقعية يسهل للقارىء فهم ماهية أسباب سقوط محمدرضا شاه وإنهيار النظام الشاهنشاهي عام ١٩٧٩.

هدف البحث: يهتم هذا البحث، وكما هو واضح من عنوانه، بدراسة وتشريح عوامل اندلاع الثورة الإيرانية وسقوط النظام الشاهنشاهي البهلوي في ايران عام ١٩٧٩. إذ ليس الهدف منه رواية احداث الثورة وماجرى أثناء قيامها، بقدر البحث عن الأسباب المتعددة التي ساهمت مجتمعة في تهيئة جو ثوري تضامني للقيام ضد نظام الشاه، لذلك حاولنا ان نركز عن أهم تلكم العوامل وشرحها وتوضيح جزئياتها والتداخل فيما بينها لكي نتوصل الى أوضح صورة يبين لنا عوامل السقوط.

منهج البحث: نظراً لعدم تمسكنا بنظرية معينة ومحددة حول قيام الثورات في التأريخ الحديث وأعتقادنا بتعدد عوامل الثورات من جهة، وبأن لكل ثورة حكاياتها وعواملها الخاصة مرتبطة بالزمان والمكان وواقع المجتمع القائم بالثورة من جهة أُخرى، على الرغم من ان هذا البحث ليس بحثاً تأريخياً صرفاً إلا اننا إتبعنا المنهج العِلمي التاريخي– التحليلى، مركزين على تتبع وإستنتاج الجذور التأريخية لعوامل الثورة الإيرانية معتمداً على كثير من الكتب و المصادر التاريخية الأصيلة وأحدث الدراسات المكتوبة حول الموضوع اكثرها باللغة الفارسية، وكذلك بعض الدراسات القليلة المكتوبة بالعربية. وقد حاولنا اثناء الكتابة الاشارة الى أهم المصادر التأريخية والتحليلية بأسلوب علمي دقيق .

تعتبر الثورة الإيرانية (١٩٧٨– ١٩٧٩) من الاحداث البارزة والمهمة جداً في تاريخ ايران الحديث بشكل خاص و في تاريخ الشرق الاوسط والمنطقة والعالم بشكل عام، اذ ساهمت جملة من العوامل الداخلية والخارجية في خلق ارضية ثورية انطلقت منها حركة جماهيرية واسعة اشتركت فيها مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية في ايران يجمعها هدف واحد وهو إسقاط النظام الإستبدادي الشاهنشاهي وإزاحة محمد رضا بهلوي عن الحكم. ويمكن ترتيب وتشريح هذه العوامل كالآتي:

أولاً: البنية المغلقة و القاسية للنظام السياسي

يعد هذا العامل من العوامل الأساسية المهمة الذي كان له اكبر الأثر في سقوط النظام الشاهنشاهي البهلوي، وأنه يختلط بمجموعة أُخرى من العوامل المتشابكة والمتداخلة. كان النظام الأيراني في العهد البهلوي بشكل عام نظاماً ملكياً إستبدادياً نخبوياً سلطوياً عسكرتارياً قمعياً مغلقًا بعيداً كل البعد عن اية ميزة من ميزات الأنظمة الموجودة في الدول الحرة الديمقراطية، من الواضح بأنه في عهد البهلوي الأب، تمكن رضا شاه في سنوات مابين الحربين العالميتين من وضع اسس الدولة الإيرانية المعاصرة وخطى بعض الخطوات باتجاه التنمية الإدارية والصناعية والعسكرية،[1] ولكن ما افرغت تلك الخطوات من محتواه هو الإبقاء على الطبيعة الإستبدادية للدولة وعدم تنفيذ اية خطوة صوب الإنفتاح والتنمية السياسية، بشكل انه لم يقم فقط بدحر وملاحقة المعارضين له، بل تخلص بطرق مختلفة حتى من الذين كان لهم في البداية دور اساسي في وصوله الى العرش و وكانوا مساعدين أوفياء له في خطواته التحديثية امثال (وزير البلاط تيمورطاش و وزير العدل علي أكبر دافار).[2]

تولى محمد رضا شاه الحكم عام ١٩٤١ خلفاً لوالده، واستمر حكمه ما يزيد على ثلاثين سنة وكان متأثراً جداً بوالده الدكتاتور ولم يحاول الخروج من ميراثه السياسي الثقيل. وقد حكم ايران سنوات طويلة اتسمت حكمه ايضاً بنظام ملكي ابوي تسلطي لا يختلف عن كثير من تجارب دول العالم الثالث، بإستثناء سنوات قصار في خمسينات القرن العشرين شهدت تجربة حكم الدكتور محمد مصدق السلطنة، رئيس الوزراء، والتي قام فيها بتأميم شركة النفط الإنكليزية في ١٩٥١، و مارس ضغوطاً متعددة على البلاط والنظام السياسي، ما أدى الى خروج الشاه في اجازة مفتوحة خارج ايران، ثم عودته بعد ذلك بمساندة امريكية، و في انقلاب مصنوع و مدعوم من أمريكا و بريطانيا ضد مصدق في آب ١٩٥٣.[3] ما يعنينا في هذا الأمر، و في تلك الفترة، رغم الأبقاء على بعض المظاهر والمؤسسات الشكلية للمشروطية كالبرلمان والأنتخابات والقوة القضائية، إلا أن النظام السياسي الايراني اتسم بتركيز شديد للسلطة في يد الشاهنشاه الذي فرض هيمنته على الجميع، من خلال شبكة معقدة مكونة من البلاط و البيروقراطية الحكومية وبذراع قمعي قوي من خلال الحرس الشاهنشاهي والجيش و الشرطة و الجندرمة وجهاز السافاك (منظمة الاستخبارات والأمن الإيرانية) السيئة الصيت الذي كان يمارس اقسى أساليب القمع و التعذيب

[1] للمزيد: الدكتورة فرح صابر: رضا شاه بهلوي (التطورات السياسية في ايران ١٩١٨–١٩٣٩) ، منشورات مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، سليمانية، ٢٠١٣.

[2] تقى زاده ارمكى و فرهاد نصرتى نژاد: تبين جامعه‌شناختى شكل گيرى دولت مطلقه مدرن در ايران، مسائل اجتماعى ايران، سال اول، شماره(١)، تابستان ١٣٨٩، ص ١٤.

[3] للمزيد: دكتر عليرضا ملائي توانى:كودتاى ٢٨ مرداد و تغيير در نظام سياسيى و فكرى ايرانيان، مجله علوم سياسى ، سال هفدهم ، شماره ٦٦، پاييز ١٣٨٦ش.

والارهاب لأنتزاع الأعترافات من المواطنين و مواجهة المعارضين للنظام الشاهنشاهي من القوميين واليساريين والتيار الديني.[4]

ومنع الشاه بعد انقلاب ١٩٥٣فعالية الأحزاب السياسية وأغلق مقراتها ولاحق اعضائها وحضر اصدار منشوراتها، اذ لم يسمح بأي نشاط سياسي مستقل من اي نوع في البلاد، قام في عام ١٩٥٧ بأيجاد حزبين سياسيين وهما (حزب مليون/حزب القوميين) الذي كان يمثل حزباً للحكومة، و (حزب مردوم/حزب الشعب) الذي كان يمثل المعارضة. جدير بالذكر، لم يكن مسموحاً لهذين الحزبين بترشيح اعضاء للبرلمان بدون موافقة مسبقة من السافاك، و لم يكن لهما من الناحية العملية مضمون، وكانا هُلامِيان ومجرد هياكل محددة لا يملكان تنظيمات حقيقية جماهيرية خارج المجلس ولم ينبثقا من أية قاعدة شعبية حتى تعبرا عن آمالها وطموحاتها وكي تضعا برنامجاً لمطالبها، بل كانا تحت سيطرة الشاه تماماً، [5] كما ان البرلمان الذي كان ينتخب إليه هؤلاء، كان بلا حول و لاقوة (خصوصاً بعد الدورة الواحدة والعشرين للمجلس النيابي)، وكان أداة طيعة بيد الشاه وآلة لأضفاء الشرعية على قراراته وأعماله، تلك القرارات الفوقية التي كان يتخذها الشاه مع شلة من اعوان النظام ومقربيه امثال (جنرال زاهدي، تيمور بختيار، اسدالله علم، اقبال، جعفر شريف امامي،عباس هويدا، آموزكار، حسين فردوست، نصيري، حسن باكروان، اويسي و طوفانيان) ولم يكن يسمح ابداً بتوجيه اية انتقادات اليها، فمثلاً عندما حاول بعض الزعماء حزب مردوم الخروج عن الأطار الرسمي لهم وتوجيه بعض الانتقادات البسيطة، حقد عليهم الشاه وتم طردهم، ففي عام ١٩٧٢ طرد (علي ناجي خاني) و في عام ١٩٧٤ القى (ناصر اميري) نفس المصير. وقد غير الشاه في عام ١٩٧٣ حزب مليون بحزب جديد للحكومة سمي ب(حزب ايران نوين/حزب ايران الجديدة) قاده مجموعة صغيرة من التكنوقراط بزعامة (حسين علي منصور) وضمن له السافاك ومكتب رئيس الوزراء (عباس هويدا) مصروفاته المالية دون ان ينجح في كسب الشعب لتأيد سياسات الشاه.[6]

وفي عام ١٩٧٥ فقد الشاه أمله من حزب ايران الجديدة لتجميع التأييد الجماهيري لنظام حكمه ولم يتحمل نظام الحزبين وماترتب عنه من بعض الانتقادات البسيطة المحدودة، لذلك قرر ممارسة سياسة اكثر نشاطاً والتوجه نحو نظام الحزب الواحد، حيث أعلن عن تأسيس حزب جديد تحت اسم (رستاخيز/ النهضة) ووضع (عباس هويدا) كأمينه العام. جدير بالذكر، بأن الإيرانين وخاصة الذين كانوا يعملون في مصالح الدولة والمؤسسات الحكومية مثل النقابات، قد تعرضوا الى ضغط كبير لكي ينضموا الى حزب رستاخيز، وبسبب سياسة الإرغام والإجبار الذي مارسته النظام، وصل عدد اعضاء هذا الحزب الى الملايين،[7] وكان (المشاركة) شعاراً للحزب، اذ اعتقد منظروه الذين كانوا من خريجي كليات العلوم السياسية في الولايات المتحدة ببعض ماكتبه المفكر السياسي الأمريكي المحافظ (صموئيل هانتنغتون) حول تأثير نظام حزب الدولة المنظبط في عملية التعبئة الجماهيرية وتنظيمها في دول العالم الثالث من أجل تأييد ونجاح سياسات الدولة و تحقيق الاستقرار السياسي وقطع الطريق امام العناصر الاجتماعية المخربة، متناسياً بأن الحزب يجب ان يكون حلقة الوصل ولا يجب ان يكون اداة الدولة لمراقبة والضغط على جماهير الناس. هكذا تحولت ايران منذ أواسط السبعينييات الى دولة شمولية، سلطانية(New Patrimonialism)[8] قمعية مغلقة يقودها طاغية حرص أن يظهر دائماً بمظهر الملك الذي يحكم بتفويض الهي

[4] امجدى خليل : ساواك (زندان ز زندانيان سياسى) ، مجله شاهد ياران ، شماره ٣ ، بهمن ١٣٨٤ش ، ص ٤-٩.

[5] ارتشبد حسين فردوست ، ظهور وسقوط سلطنت پهلوى ، جلد أول، چاپ دوم ، تهران ، ١٣٧٠ش ، ص ٤٨٣-٤٨٤.

[6] ناصر امينى : يادمانده ها از حزب مردم و حزب ايران نوين ، مجله حافظ ، شماره ٥٥ ، مهر ١٣٨٧ش، ص ٤٩-٥١.

[7] للمزيد: مظفر شاهدى : داستان عضو حزب رستاخيز ، مجله تاريخ معاصر ايران ، شماره ٤٤ ، زمستان ١٣٨٦ش.

[8] حسين شمسينى غياثوند: پهلويها و سلطانيسم ماكس وبر (بررسى نظريه "سلطانيسم" ماكس وبر در تحليل ساختار حكومت پهلوى، مجله زمانه ، شماره ٢٢، تير ١٣٨٣.

وبأن الله قد أختاره لينقذ ايران بنفاذ بصيرته، وقد قسم الناس الى قسمين، اذ عبر عن ذلك في خطاب القاه يوم ٢ آيار ١٩٧٥ عندما قال: " هؤلاء الذين يؤمنون بالنظام الملكي والدستور وثورة السادس من بهمن (تأريخ إعلان ماسمي بالثورة البيضاء في عام ١٩٦٣) و هؤلاء الذين لايؤمنون بهذه الاشياء. والشخص الذي لا ينضم للحزب السياسي الجديد ولا يؤمن بالشاه وحقه بالتصرف بشؤن الناس أما انه شخص ينتمي الى منظمة (غير شرعية) أو مرتبط بحزب توده المحظور، أو بعبارة اخرى.. (خائن)، ومثل هذا الشخص ليس أمامه الآ أحد الطريقين، فالمكان الذي يجب ان يوضع فيه هذا الشخص هو أحد السجون الإيرانية، أو يستطيع أذا رغب في ذلك، أن يغادر البلاد غداً حتى دون أن يدفع رسم الخروج في المطار و يستطيع أن يذهب الى اي مكان يريد...لأنه ليس إيرانياً، فهو شخص لا ينتمي الى أمة أو وطن".[9]

وقام الشاه بإستخدام القوات المسلحة والتي كانت مجهزة على اعلى مستوى في التعامل مع قوات المعارضة داخلياً. اذ قتل و إغتال العديد من زعمائها وملء السجون الإيرانية مثل (فلك الأفلاك، قزل قلعة، برازجان و عادل آوا في شيراز) بآلاف من اعضاء الأحزاب الإيرانية المعارضة السرية، وكانوا هؤلاء محرومون من ابسط الحقوق الإنسانية، وقد اعترف الشاه عام ١٩٧٠ بوجود ٣٠٠٠ نفر من المعارضين السياسيين في السجون الإيرانية،[10] إلا ان بعض المصادر خمنت المسجونين السياسيين الإيرانين في ذلك الوقت بخمسين الى مئة الف سجين.[11] اذ اشار منظمة العفو الدولي قبل سقوط النظام بأنه ليس هنالك دولة في العالم كأيران لها اسوء سجل في مجال خرق حقوق الأنسان.[12] لذلك ليس من المستغرب ان يكون (الحرية للسجناء السياسيين) احدى اهم الشعارات التي رفعتها و رددتها آلاف المتظاهرين في المظاهرات التي اندلعت في عام ١٩٧٨.

ومن يتعمق في دراسة النظام البهلوي لابد ان يعترف بأن النظام كان يفتقد الى قاعدة شعبية وأجتماعية متينة يرتكز عليها، كما كان يفتقد أيضاً الى المستوى الادنى من المؤسساتية، ففي ظل هذا النظام الإستبدادي ما كان لأي تغيير أن يحدث إلا إذا كان مرافقاً للعنف بدرجة عالية، وذلك كردة فعل على عنف الأساليب المتبعة من قبل النظام الشمولي، اذ أن الأحتكار وتوسع العلاقات غير الرسمية كانتا سمتان بارزتان لنظام أمتلك الشاه فيه هيمنة شخصية وسلطة تنفيذية كاملة في دولة رأسمالية تتطور بسرعة دون ان تكون فيها أية إستقرار فعلي في العلاقة بين النظام وبين قاعدة عريضة من الرأسمالية الإيرانية وجميع الفئات الفقيرة من الحشود الكادحة المستضعفة والمقهورة.

ثانياً: التطور الأقتصادي غير الموزون والتناقض الإجتماعي

هذا العامل من العوامل البنيوية الأساسية التي ادت الى انفجار الوضع في ايران عام ١٩٧٨ وبالتالي سقوط النظام، وعزى كثير من الباحثين الثورة الى التناقض البنيوي الحاد في الوضع الاقتصادي والاجتماعي الإيراني مثل (منصور معدل) و(M. H. Pesaran)[13]. كان الاقتصاد الإيراني في بداية القرن العشرين وأواخر العهد القاجاري قد تحول من

[9] زهير مارديني: الثورة الايرانية بين الواقع والاسطورة، بيروت ، ١٩٨٦، ص ١٠٨-١٠٩.

[10] مارگ ج گازيورسكى ، سياست خارجى أمريكا وشاه . بناى دولت دست نيشانده در ايران ، ترجمه : فريدون فاطمى ، چاپ أول ، سعدى ، نشر مركز ، تهران ،١٣٧١ش ، ص ٢٦٥.

[11] ريتشارد دبليو گوتام ، القومية فى ايران ، ترجمة : فاضل الخفاجى ، مراجعة : الدكتور على محمد المياح . بغداد ، ١٩٧٨، ص ٤٧٠.

[12] أدور سابليه ، ايران مستودع البارود ، ترجمة عبدالمنعم حسنين ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص ٥٥.

[13] منصور معدل: طبقه ، سياسيت و ايديواوژى در انقلاب ايران ، ترجمه: محمد سالار كسرائى، تهران ، ١٣٨٢ ؛ Pesaran, M. Hashem. 1985. "Economic Development and Revolutionary Upheavals in Iran," in Haleh Afshar, ed., Iran: A Revolution in Turmoil, London: Macmillan: 15-50.

الإكتفاء الذاتي، نتيجةً لوجود النفوذ الاستعماري في ايران و الحروب الإيرانية–الروسية، وكذلك الإتفاقيات السياسة والاقتصادية مع تلك الدول من جهة، و ضعف النظام وفساد وإستبداد الدولة المركزية، الى حالة من التبعية والتخلف والإنحطاط ، وزاد احداث الحرب العالمية الأولى في الطين بلة واصبح الاقتصاد الإيراني مدمر بالكامل. وفيما بعد، فإن المعروف للمهتمين بالتأريخ، ان البنية الأقتصادية الإيرانية كانت غير مستقرة وغير سليمة طوال عهد حكم العائلة البهلوية، صحيح ان رضا شاه حاول ان يقوم ببعض الإصلاحات الأقتصادية والأدارية والتحول بأقتصاد ايران الى اقتصاد شبه رأسمالي عندما كان على العرش الإيراني، إلا ان هذه الأصلاحات لم يشمل قطاعاً أساسياً من قطاعات السكان والأقتصاد في ايران، ونعني بذلك الفلاحين والزراعة، فلم يشهد اية محاولة لإعادة النظر في ملكية الأراضي الزراعية أو تنظيم العلاقة بين الفلاح و الملاك لصالح الاول، وإن الأجراءات التي أتخذت في هذا المجال خدمت مصالح الأرستقراطية الإيرانية وليس صغار الفلاحين، ولاشك ان لهذا الامر علاقة بطبيعة نظام الحكم البهلوي الاول وشخص رضا شاه الذي اصبح بعد عدة سنوات من حكمه اكبر مالك للأراضي الزراعية في ايران. ومما له اكبر الأثر في بؤس الفلاحين الإيرانيين وزيادة الفقر وسوء مستوى المعيشة وتراجع الإنتاج الزراعي و قلة المواد الغذائية والحيوانية في هذه الفترة، هو اهمال نظام الري في ايران من جهة، وإرسال الحملات العسكرية ضد العشائر الإيرانية وتدمير مناطقها والإستيلاء على أراضيها والحد من هجرتها السنوية بين المصائف و المشاتي القبلية، إضافةً الى تهجيرها وإجبارها على السكن في أماكن بعيدة عن مناطقها الأصلية مما ادى الى موت كثير من مواشيهم و قطعانهم. [14]

وقد أتت حوادث الحرب العالمية الثانية واحتلال ايران من قبل قوات الحلفاء عام ١٩٤١، وكذلك الحوادث المباشرة الاخرى مابعد الحرب، وخاصة فترة حكومة الجبهة الوطنية بزعامة مصدق، بمشاكل أخرى على الأقتصاد الإيراني الهش، نتيجةً لإستغلال أقتصاد ايران للمجهود الحربي والأستحواذ على المواد الغذائية من قبل الحلفاء، وكذلك المشاكل التي حدثت بسبب قرار تأميم النفط الإيراني واغلاق الشركة الإنكليزية –الايرانية و وقوف تصدير النفط الإيراني تماماً،[15] مما كان له أثر واضح على فشل أول خطة تنمية أقتصادية وضعت عام ١٩٤٩ امدها سبع سنوات بهدف تطوير الزراعة والصناعة والخدمات الصحية والتعليمية وبالإعتماد على جزء من عوائد النفط ومن القروض من البنك الوطني والبنك الدولي للإنشاء والتعمير،من جهة، وكذلك فشل الحركة الوطنية الإيرانية و تسهيل عملية أنقلاب عام ١٩٥٣ وإزاحة مصدق عن السلطة من جهة أخرى. مع حل مشكلة النفط الإيراني وتحسن عوائده بعد إتفاق حكومة الإنقلاب مع شركة كونسرسيوم وفق مبدأ مناصفة الأرباح في ٣١ آب ١٩٥٤،[16] اضافةً الى ازدياد دور ونفوذ الولايات المتحدة ووعودها المشجعة بشأن تقديم قروض سخية لإيران بهدف اصلاح وضعها المزري وكجزء من سياستها حول إبعاد شبح الشيوعية عن الدول السائرة في فلك الغرب عن طريق تحسين وضعها الاقتصادي والإجتماعي والثقافي، بدأ العمل في عام ١٩٥٥ بخطة تنمية اقتصادية ثانية امدها سبع سنوات ركزت على توسيع البنية التحتية للمواصلات وتطوير الزراعة و تضمنت انفاق مايعادل ١٠٧١ مليون دولار تقريباً، وقد طلب الشاه من (أبوالحسن أبتهاج) وهو اقتصادي ايراني أكمل دراسته في الولايات المتحدة، ان يكون مسؤولاً عن تنفيذ هذه الخطة بمساعدة مجموعة من المستشارين الأمريكان. جدير بالذكر، ان هذه الخطة رغم تحقيقها لبعض التقدم إلا انها واجهت كثير من المشاكل والصعوبات جعلتها غير قادرة على حل المشاكل الأقتصادية و الأجتماعية المزمنة

[14] دكتر نفيس واعظ (شهرستانى): سياست عشايرى دولت پهلوى اول، چاپ اول، نشر تاريخ ايران، تهران، ١٣٨٨ش، ص ٣٢٩–٣٣١ ؛ دكتر احمد نقيب زاده: دولت رضاشاه و نظام ايلى، چاپ اول، انتشارات مركز اسناد انقلاب اسلامى، تهران، ١٣٧٩ش ، ص ١٨٢–١٨٤.

[15] محمد على همايون كاتوزيان: اقتصاد سياسى ايران ، ترجمه: محمد رضا نفيسى و كامبيزى عزيزى ، نشر مركز، تهران، ١٣٧٤ش، ص ٢١٩–٢٢٢.

[16] محمد امير شيخ نورى : لايحه امتياز نفت به كنسرسيوم ، مجله زمانه ، شماره ٦٩ ، خرداد ١٣٨٧ ، ص ٣٥–٣٦.

في ايران،[17] وأعتقد الأمريكيون بأن تحسين وتحديث الأقتصاد الإيراني و الأستقرار السياسي طويل الأمد في البلاد لايمكن إلا بوضع خطة شاملة من قبل الحكومة الإيرانية وتقديم مساعدات مالية ضخمة من قبل الولايات المتحدة، وخاصةً بعد مجيء حكومة كندي الذي قرر فور دخوله البيت الأبيض تشكيل هيئة خاصة تحت إشراف وزارة الخارجية التي أوصت في آيار ١٩٦١، بأن المصلحة الإستراتيجية للولايات المتحدة تكمن في تعميق العلاقات مع ايران وتشجيع وتقديم المساعدة للأصلاحات الأقتصادية والنمو الاقتصادي في ايران وتحويله نحو الرأسمالية. ومما أثر في اذهان بعض منظري النمو الاقتصادي في ايران و التكنوقراط العاملة في هذا المجال هو إصدار كتاب (مراحل النمو الاقتصادي) لمؤلفه الامريكي (والت روستو) عام ١٩٦٠، الذي اخذت كمنهج في معالجة التنمية في البلدان المتخلفة. [18]

هكذا، باشر العمل لمناقشة وطرح وتنفيذ خطط اقتصادية ثالثة ورابعة و خامسة استمرت من بداية الستينييات الى اواسط السبعينييات من القرن العشرين، ولأجل ايجاد طبقة متوسطة جديدة موالية للنظام ولكسب الفلاحين وتغيير نمط العلاقات شبه أقطاعية السائدة في الريف الإيراني و التوجه صوب الزراعة الرأسمالية، طرح الشاه في عام ١٩٦٢ برنامجاً أطلق عليه (انقلاب سفيد/الثورة البيضاء)[19]، طبقت في ثلاث مراحل خلال سنوات ١٩٦٢–١٩٧١ حصل بموجبها قسم من الفلاحين على قطعة ارض والغيت الملكيات الاقطاعية الكبيرة في الريف، إلا ان تطبيق هذا البرنامج لم يحقق النجاح، فقد شمل الأصلاح الزراعي مابين ١,٦مليون و ٢مليون عائلة فلاحية فقط من مجموع ٣,٥ عائلة فلاحية موجودة في الريف الإيراني، و تم توزيع ٢٠ مليون ايكر فقط من الاراضي الزراعية التي كانت تقدر مساحتها بحوالي ٤٢ مليون ايكر على هذا العدد الكبير من الفلاحين، وفي حين حصل ٧٥٪ من هؤلاء الفلاحين على قطع صغيرة جداً لاتكفي لإعالتهم، والأموال التي خصصت لتحسن وتقدم ونجاح الاصلاحات الزراعية لم يصرف في محلها، بل صرف في مجال اقامة مشاريع الري الكبرى، اضافةً الى عدم وجود برامج مكملة كتشكيل الجمعيات التعاونية المستقلة القوية و اقامة الصناعات الزراعية في الأرياف و ضمان احتياجات الفلاحين من بنوك التنمية ومكتب لمراقبة توزيع البذور والأعلاف ، مما ادى بالفلاحين الى ترك أو بيع أراضيهم والهجرة الى المدن. [20]

تعلق الدكتورة أمل حمادة على تأثير فشل سياسات الشاه الاقتصادية وتقول: " اتبع الشاه خلال فترة حكمه مجموعة من السياسات الاقتصادية التي أدت في النهاية الى استعداء قوى مهمة عليه هي البازار والطبقة الوسطى ورجال الدين التي تحالفت فيما بينها ضده، و أسهمت في انهيار نظامه. فالأقتصاد الأيراني يتميز بأعتماده بشكل كبير على العوائد المرتبطة بالنفط. ومنذ الستينيات عمد الشاه الى مجموعة من القرارات التي هدف بها إلى إعادة توزيع الثروة في المجتمع الإيراني، والتي أثبتت فشلها في ما بعد، و لم يستفد منها إلا قطاع صغير للغاية، حيث شاب تطبيق هذه البرنامج العديد من التجاوزات.وأسهم سوء الأحوال في الريف الإيراني بهجرة اعداد متزايدة من الفلاحين الإيرانيين الى المدن الكبرى، مما أدى الى أنهيار متزايد في قطاعي الزراعة والخدمات في المدن الإيرانية التي عانت ضغط هذه الهجرات على المرافق العامة". [21]

هكذا، رغم ما كان الشاه يتحدث بأستمرار و بثقة عالية وتفاخر عن التحول في العلاقات الزراعية ونجاح ثورته البيضاء و تحديث ايران وتوجهها نحو التصنيع و تطور الرأسمالية وامكانية ايصال ايران الى مصاف الدول

[17] محمد على همايون كاتوزيان ، المصدر السابق ، ص ٢٤٧–٢٤٩.

[18] حول هذا الكتاب انظر:
Rotsow , W.W The Stages of Economic Growth : A Non-Communist Manifesto , Cambridge University press,1966.

[19] عيسى صديق: تاريخچه و فلسفه انقلاب سفيد ،مجله وحيد ، شماره ١٠٩ ، دي ١٣٥١ش، ص ١٠٧١–١٠٧٥.

[20] محمد على همايون كاتوزيان ، المصدر السابق ، ص ٣٠٤–٣٠٥ ؛ ارتشبد حسين فردوست، المصدر السابق، ص ٤٨٥–٤٨٦.

[21] الدكتورة أمل حمادة: الخبرة الإيرانية (الانتقال من الثورة الى الدولة)، بيروت ، ٢٠٠٨، ص ٧٥.

العظمى في العالم، وما كانت تنشر في الجرائد والمجلات ووسائل الاعلام الرسمية الايرانية حول التطبيل و التزمير لهكذا نجاح، إلا ان الواقع اثبتت عكس ذلك تماماً و تمخضت عن ذلك الفشل وقوع أزمات حادة جداً ومشاكل عصيبة في الوضع الاقتصادي و الاجتماعي الإيراني مثل: هبوط نسبة مشاركة القوى العاملة في الزراعة و إنخفاض حاد في انتاج المواد الغذائية، تدمير مشاريع الري وتدهور وضع الأرياف، الهجرة الواسعة من القرى الى المدن بشكل بلغ عدد المهاجرين حوالي ٢,١١١,٠٠٠ خلال سنوات ١٩٦٦-١٩٧٦، وهذا ادى بدوره الى التضخم النقدي وعجز ميزانية الدولة وارتفاع الغير متوقع لسكان المدن كطهران مثلاً و تدهور الوسائل الخدمية وأرتفاع الأسعار وإنتشار البطالة فيها. في الحقيقة، يمكن القول بأن محاولة بناء أقتصاد رأسمالي هش على ركام علاقات شبه أقطاعية في بلد زراعي متخلف كأيران و في ظل دولة ريعية (Rantier state) وتحت اشراف البلاط وحفنة من البيروقراطية الحكومية الفاسدة قد أتت بكارثة حقيقية على البلاد، اذ قضت الاصلاحات على الاساليب التقليدية للعمل التى تعتمد على المصلحة المتبادلة، دون تقديم أى بديل، حيث لم يدمر الإصلاح الهيكل الاقتصادي فقط وإنما دمر أيضاً كامل الاطار الاجتماعي لعملية الانتاج .[٢٢]

من جانب آخر، ادى ارتفاع أسعار النفط في النصف الأول من السبعينيات الى تشجيع الشاه على توجيه جزء كبير من استثمارات الدولة لهذا القطاع، واستغلال العائد لتمويل عدد من المشاريع الكبرى العمرانية والصناعية الطموحة. لكن الحال اختلف في النصف الثاني من السبعينيات حينما إنهار اسعار النفط عانى النظام التضخم والكساد، وقد ساعد على انهيار النظام اقتصادياً حادثتان على درجة كبيرة من الأهمية، الأولى : هي احداث العنف التي سادت المدن الإيرانية، وتحطيم وحرق البنوك والمؤسسات المالية الكبرى من قبل الحشود الغاضبة. والثانية: هي إضراب عمال النفط في ميناء عبادان، ما أثر بشكل كبير في موارد الدولة واضعف النظام و عجل بأنهياره الكامل و سقوطه. كما لايمكن إغفال التداعيات التي ارتبطت بتزايد الشكوى من الفساد المالي والإداري، وبخاصة ما ارتبط منها بالعائلة المالكة. فقد أنشأ الشاه مؤسسة بهلوي عام ١٩٥٨ لإدارة أملاك العائلة، وقام بمنح كل ثروته الى المؤسسة لإدارتها، ويعود إليه ٢,٥ في المئة من الأرباح ليعيد توزيعها. ولكن هذه المؤسسة توسعت أقتصادياً ومالياً الى الدرجة التي سيطرت فيها على قطاعات الفندقة والبنوك والعقارات والسيارات وبعض شركات التأمين.

من ناحية ثانية سعى الشاه الى تدعيم وتشجيع المؤسسات المالية والبنوك الكبرى في ما عُد تهديداً مباشراً لسيطرة البازار ومكانته في السيطرة على التجارة الإيرانية، وبخاصة الداخلية منها. هذا الأمر دفع البازار في اتجاه حليفه التقليدي: المؤسسة الدينية. وقد حاول الشاه التأثير الاقتصادي في المؤسسة الأخيرة من خلال حرمانها من أعداد كبيرة من طلاب العلوم الدينية الذين اخذوا يتوجهون للتعليم المدني، وحرمانها من موارد هائلة كانت تأتي إليها من البازار الذي تمت السيطرة عليه من خلال قوانين التأميم، وتشجيع الشاه للمؤسسات المالية الغربية والحديثة المنافسة للبازار.[٢٣]

وهنا بالذات لابد من الإشارة الى ظاهرة فساد السلطة و رموزها في ايران في جميع المجالات حتي الأخلاقي منها، وما لها من دور سلبي وتخريبي في التدهور الأقتصادي و الشرخ الأجتماعي و تراجع شرعية السلطة وفقدان هيبة الدولة، خصوصاً أن هذة الظاهرة، أي الفساد، كانت ممنهجة ومنظمة وموجهة من الأعلى الى الأسفل، وبسبب شخصانية السلطة الاستبدادية القمعية المطلقة ومركزيتها الشديدة و ريعانية اقتصاد الدولة اللامؤسساتية، مع عدم وجود هيئات للمراقبة والمسائلة وغياب دور البرلمان والقضاء، أصبحت ظاهرة الفساد حالة محمية(clientelistic) ،متجذرة ،متفشية وشكلت جزءً اساسياً وعادياً من الحياة اليومية الايرانية، وكان الشاه

[22] محمد على همايون كاتوزيان : المصدر السابق ، ص ٢٧٣-٢٧٤.

[23] الدكتورة أمل حمادة : المصدر السابق، ص ٧٦-٧٧.

وأخته اشرف و افرادالاسرة المالكة أفسد الايرانين جميعاً، اذ شكلوا رأس هرم الفساد وأصبحوا حامي حماة المفسدين، وكان لهم حصة الأسد من ارباح النفط و جميع واردات الدولة والشركات والمقاولات العاملة في ايران و معاملات البنوك والصفقات والإستثمارات التى كانت تجرى مع الدول الخارجية، بذلك كدسوا اموالاً طائلة وصلت الى المليارات من الدولارات الأمريكية،[٢٤] وقد وصل الفساد ذروته أثناء فترة حكم رئيس الوزراء (عباس هويدا ١٩٦٥-١٩٧٧)، و عمت أعوان البلاط ورجال الشاه المقربين امثال (اسدالله علم، طوفانيان، هدايت الله گيلانشاه) وكذلك اعضاء كبار من الوزراء ومن البيروقراطية الحكومية من المدنيين والعسكريين، ومن الرأسماليين الجدد والمقاولين والملاكين والعوائل الثرية المتنفذة امثال عائلة (كاشاني، وهابزاده،فرمانفرمائيان، خسروشاهي، لاجوردي، فولادي، حجتي زاده..وغيرها) شبكة الفساد المنظم في ايران وحصلوا على امتيازات مادية وجمعوا اموالاً طائلة بشكل غير قانوني .[٢٥]

كذلك فإن ما خصص من اموال للتسليح شكل ضغطاً على باقي بنود الميزانية أسهم بشكل واضح في إضعاف أداء النظام الإيراني اقتصادياً. لقد انفق الشاه مبالغ طائلة ومتزايدة على تسليح الجيش الإيراني وكان ٩ في المئة من الناتج القومي يوجه لميزانية الدفاع بهدف تقوية الدور الأقليمي لإيران في المنطقة، ولم يكن الشاه مقتنعاً اصلاً بما إشتراه من الأسلحة المتقدمة، بل كان يطالب الولايات المتحدة بأستمرار بتزويد ايران بأحدث المنظومات الصاروخية والطائرات الحربية والاساطيل البحرية، في حين كان يمكن الاستفادة من تلك الاموال المهدورة لبناء بنية تحتية متينة يتحمل الهزات المفاجئة.[٢٦]

وهكذا أدت سياسات الشاه الخاصة بالسيطرة على التجارة الداخلية والخارجية الايرانية(إذ بلغ مستوى التجارة الخارجية ١٦٢ مليون دولار في عام ١٩٥٤، بينما وصل الى ٤٢ مليار دولار في عام ١٩٧٤)، بالأضافة الى سياسية إعادة توزيع ملكية الأراضي الزراعية الى استعداء كل من البازار التقليدي ورجال الدين، أما الطبقة الوسطى والبورجوازية الصغيرة التقليدية فأنها تضررت ايضاً بدورها من الإنخفاض الشديد في أسعار النفط في السوق العالمية عام ١٩٧٦ و كذلك من تخفيض استثمارات الدولة في عدد من القطاعات، بالأضافة الى أرتفاع نسبة البطالة والتضخم، وسيادة موجة من الكساد في الأسواق الإيرانية، وإنهيار مستوى المرافق و الخدمات، أضافة الى ذلك فقد زادت الفجوة بين المدن الإيرانية بل داخل المدينة الواحدة، لقد تم الأهتمام بمناطق شمال العاصمة طهران الأغنى على حساب جنوبها الذي كان يعرف بمدينة الصفيح بسبب انتشار العشوائيات، كما انهارت الخدمات كالماء والكهرباء في طهران، ناهيك عن حال القرى والمناطق البعيدة، ففي طهران التي كانت نسبة سكانها تقدر ب ٨٪ من مجموع سكان البلاد، كانت ٤٢٪ من العوائل فيها محرومة من السكن الملائم للعيش ومن ابسط المستلزمات الخدمية كالماء والكهرباء، كما كان نسبة ٩٠٪ من القرى الإيرانية محرومة من الكهرباء والإضاءة وثلث سكان البلاد كانت محرومة من العلاج والدواء.[٢٧] وهكذا ادى تفاقم وشدة الاوضاع العامة الى زيادة اعداد الفقراء و عدائهم ضد الدولة وشخص الشاه الذي كان يمثلها، كما شكل هؤلاء نواة وقاعدة جماهيرية مستقبلية لم يستطع أية جهة تعبئتها بشكل افضل غير التيار الديني الأصولي الراديكالي بقيادة خميني.

[24] للمزيد : ايران ميرفندرسكى : تاريخ سياه (تاريخ ٣٧ ساله فساد پهلوى) ، تهران، ١٣٨٧ش، ص ٢٠٩-٢٥١.

[25] خليل الله سردارپنا ، تبيين ساختاگراى سياسى – اقتصادى در ايران (پهلوى دوم) ، مجله علوم سياسى، شماره ٦، بهار ١٣٨٦، ص ٤٥-٥٢.

[26] روبرت جراهام ، ايران : وهم السلطة . اجابة مبكرة لسؤال الساعة . لماذا سقط الشاه والعرش ، عرض :فيليب ، جلاب ، العربى ، العدد ٢٤٦، مايو ١٩٧٩،ص ١٤٨.

[27] مارگ ج گازيورسكى ، المصدر السابق ، ص ٣٤٣.

في هذا الإطار يعلق (كريس هارمان) على دور التناقضات الاجتماعية في انهيار النظام الشاهنشاهي والثورة الايرانية ١٩٧٩ التي سميت فيما بعد بالأسلامية، حيث يقول : " تلك الثورة لم تنتج عن الحركة الإسلامية، ولكن عن التناقضات الكبيرة التى ظهرت في نظام الشاه فى منتصف واواخر السبعينات، حيث فاقمت الازمة الاقتصادية الانقسامات العميقة الموجودة بين رأسمال المال الحديث المرتبط بالدولة والقطاعات الاخرى التقليدية المتمركزة حول البازار (التى كانت تسيطر على ثلثى تجارة الجملة وثلاثة ارباع تجارة التجزئة)، في نفس الوقت كانت تعمق التوترات داخل جماهير العمال والاعداد الهائلة من الفلاحين السابقين الذين أتوا كالفيضان الى المدن. كانت المؤسسة الدينية الممتعضة من النظام تشترك في مظاهرات الاحتجاج التى يقوم بها المثقفون والطلاب والتى إنتشرت لتضم فقراء الحضر في سلسلة من الصدامات الكبرى مع البوليس والجيش، وشملت موجة من الاضرابات الصناعة وتعطلت نتيجة لتلك الاضرابات أهم حقول البترول. وبعد ذلك وفي اوائل فبراير ١٩٧٩ نجحت كل من عصابات الفدائيين اليسارية والعصابات الإسلامية اليسارية من مجاهدى خلق في اثارة انقلابات كبرى في القوات المسلحة، واحدثت انهيارا ثوريا للنظام القديم".[٢٨]

ثالثاً: إشكالية الهوية والإغتراب الثقافي

ليس هذا العامل اقل دوراً من العاملين السابقين في زعزعة أُسس النظام و فقدان شرعية السلطة السياسية وانعزالها وتراكم الحقد الشعبي ضد الدولة الشاهنشاهية في ايران والذي أدى في النهاية الى الثورة عليها. جدير بالذكر، ان هذا العامل بنيوي ومرتبط بمسألة سوء عملية بناء (الدولة–الأُمة) وكذلك الإشكاليات والتناقضات الآيديولوجية للدولة الشاهنشاهية البهلوية.[٢٩]

من الواضح، إن بناء الدولة الإيرانية الحديثة أي (الدولة–الأُمة) قد جرت في ظروف بالغة التعقيد ومليئة بالتناقضات والصراعات العميقة أثرت على إنحراف مسار الدولة وتوجهها نحو الأستبداد والإنعزال عن الشعب. كانت ايران في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين دولة استبدادية متخلفة قبلية–اقطاعية تحكمها العائلة القاجارية، اذ بدأت أفكار حديثة حول الأستقلال السياسي والأقتصادي وثقافة الإصلاح والتجديد والعقلانية و التقدمية والتغيير والحرية والمشروطية منذ ذلك الوقت تتسرب وتتغلغل وتنتشر في جسد المجتمع الايراني، وأن التراكم الثقافي ونشر هذه الأفكار خلق شعوراً بالحاجة لتحقيق الأنتقال الى النظام الدستوري وانشاء دولة حديثة في ايران. فقد كان للأنتليجنسيا الايرانية دورٌ كَبير في توجيه أذهان الشباب والفئة الواعية من الايرانيين صوب الإصلاح و التجدد بدءاً بنبذ الحُكم الاستبدادي والفردية في الحكم، والتحريض على الدستور وسيادة القانون، وفتح الأذهان صَوب التطورات العِلمية والثقافية في العالم يومئذٍ، تلك الفئة التي تحولت بحكم إطلاعها على الأفكار الحديثة وأحتكاكها بالمجتمعات الأوروبية الى جسر لنقل تلك الأفكار ومنقذ للأوساط الاجتماعية البائسة التي خرجت منها أيضاً، والتي كانت تفكر وتعمل وتُخطط من أجل إحداث تغيير جذري في الكيان السياسي والأقتصادي والأجتماعي للدولة القاجارية. وفعلاً حدث الثورة المشروطية (١٩٠٥–١٩٠٩)

[28] كريس هارمان: النبي والبروليتاريا، ترجمة: مركز الدراسات الاشتراكية، ١٩٩٦، ص ١٣.

[29] للمزيد: پيروز مجتهدزاده : پيدايش هويت ايرانى و مفهوم كشور در ايران ، پژوهشهاى جغرافيايى انسانى، دوره ٤٥، شماره ٢، تابستان ١٣٩٢.

ونجحت الثورة في فرض الدستور ولكنها فشلت بسبب عوامل داخلية وخارجية في إنهاء الإستبداد وبناء دولة ديمقراطية برلمانية قوية قادرة على منع التدخلات الخارجية وتعمل على تحقيق حكم القانون و العدالة والرفاه.[٣٠]

وبعدما خرج ايران من أحداث الحرب المدمرة منهوكة و مشلولة اصبحت على حافة التقسيم والتفكك بسبب تطلع الشعوب غير الفارسية كالكورد والآذر والعرب نحو الإستقلال بمناطقهم وتأسيس سلطتهم بعيداً عن طهران، هنا إلتقت مصالح البورجوازية الضعيفة الفارسية في المركز مع المصالح الأستراتيجية والنفطية لدولة بريطانيا العظمى تمخضت عنه انقلاب ٢١ شباط ١٩٢١ بقيادة العقيد رضاخان الذي احتكر القوة والسلطة وطرد الشاه القاجاري وجلس على العرش واصبح مؤسس الشاهنشاهية البهلوية وباني دولة ايران الحديثة.

في الواقع بنى رضا شاه هذه الدولة الحديثة معتمدة على جيش قوي وحكومة بيروقراطية شديدة المركزية ودعم البلاط الشاهنشاهي ،اذ هاجم الحركات الإستقلالية للشعوب غير الفارسية ودمر مقاومتها وأحتلت اراضيها وعمل على إذابتها وبعثرتها والقضاء على ثقافاتها ونخبها السياسية والفكرية بذرائع مختلفة وأساليب متعددة،[٣١] بذلك أسس دكتاتورية مستبدة مطلقة ذات آيديولوجية عنصرية فارسية مهيمنة وصلت الى حد الفاشية. فمن الواضح بأن التغني والمفاخرة بالماضي البعيد والنزعة المعادية للشعوب غير الفارسية بالأخص العرب والأسلام و روح الإستعلاء القومي الإقصائي الى حد الشوفينية وكراهية الغير كانت من السمات البارزة للقومية الفارسية ودعاتها منذ بدايتها، ويبدو ان جذور الشعوبية من جهة، وضعف وإذلال ايران أمام القوى الخارجية و ظهور موجة من يقضة القوميات غير فارسية في بداية العصر الحديث كانت لها تأثير واضح على تحديد وتثبيت تلك السمات بشكل ان الباحث البريطاني (بندكت اندرسون) يعتبر القومية الفارسية كجزء من (القوميات الرسمية الدولتية / Official or State nationalism) والتي تدخل ضمن النوع القومية العدوانية.[٣٢] وهكذا فأن الشعوب غير الفارسية في ايران والتي كانت تشكل نصف سكان البلاد عانت الأمرين في ظل النظام الشاهنشاهي وعدوا مواطنين من الدرجة الثانية مع تهميش واضح في المجال الاداري والوظيفي والمساواة مع الفرس،[٣٣] وكانت تنظر الى الدولة كأداة بيد نخبة شوفينية مستبدة من القومية الفارسية الحاكمة لقمعها وإذلالها وتركيعها وفي النهاية تفريسها، وقد ترجمت هذه النظرة العدائية الى الدولة والنظام في لحظات تأريخية حاسمة الى الواقع وقامت بأنتفاضات وثورات ضد النظام الحاكم في طهران طوال عهد حكم العائلة البهلوية أوصلت ايران في بعض الأحيان الى حالة مهددة بالتفكيك وإستقلال أقاليمها غير الفارسية، ومثال على ذلك تشكيل حكومة آذربايجان و جمهورية كردستان الديمقراطية عام ١٩٤٦،و كذلك الحركة المسلحة الكردية في مناطق كردستان الإيرانية في ١٩٦٧–١٩٦٨، تلك الحركات والمحاولات التي قمعتها النظام الشاهنشاهي بالحديد والنار و باستخدام ابشع الأساليب و بمساعدة الدول الاجنبية كبريطانيا والولايات المتحدة.[٣٤]

[30] للمزيد : احمد كسروى، تاريخ مشروطه ايران، تهران، ١٣٧٩ ؛ محمد اسماعيل رضوانى، انقلاب مشروطيت ايران، تهران، كتابخانه ابن سينا، ١٣٤٤ ؛ ايوانوف م.س ، انقلاب مشروطه ايران ، ترجمه : كاظم انصارى ، انتشارات بابك تهران ، ١٣٥٤ش.

[31] دكتر مجتبى مقصودى: قوميت ها و هويت فرهنگ ايرانى، مجله نامه پژوهش فرهنگى ، شماره ٢٢ و ٣ ، پاييز و زمستان ١٣٨٠ش، ص ٢٢١–٢٢٣.

[32] Benedict Anderson: Imagined Communities: Reflection on the Origin and Spread of Nationalism, London, 1983, p102.

[33] من الواضح بأن كثير من الشعوب غير الفارسية في ايران ينتمون الي المذهب السني، وقد أكد الخميني في بياناته ورسائله وخطاباته المرسلة الى ايران يشيد بنضال اهل السنة ضد الشاه ووعدهم بحقوق متساوية مع لشيعة، وقدم تلك الشعوب آلاف الارواح في الثورة و شارك زعماء دينيون من السنة في المظاهرات ضد الشاه وكان لهم دور في سقوطه مثل : احمد مفتي زادة ، الشيخ ملا عزالدين الحسيني ، عبدالعزيز البلوشي و سيد جلال الحسيني. للمزيد:
علي الحسيني: سنة ايران (دراسة سوسيوسياسية في احوال تشكل الوعي الجماعي للطائفة، في: اهل السنة في ايران، مجموعة باحثين، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الطبعة الاولى، ٢٠١٢، ص ١٣٤–١٣٩.

[34] Borhanedin A. Yassin : *Vision or areality. The Kurds in the Policy of the Great Power 1941-1947,pp 174-185.*

ومن ناحية أخرى، كان رضا شاه، الدكتاتور العسكري الجشع الجائر، لم يكن مؤهلاً ابداً للقيام بمهمة تحديث دولة متعددة القوميات وكان يفتقر الى فلسفة واضحة، بل إن مفاهيمه عن التحديث في جميع المجالات كانت شكلية ساذجة غير واقعية وعلمية، وخاصة في مجال ايجاد هوية وطنية جديدة قادرة على تجميع كل القوميات والمكونات والفئات الموجودة داخل إطار الدولة الإيرانية، فكان ينظر الى التاريخ الايراني في شكل مراحل متعاقبة، ورأى ان المرحلة التي ارتبطت باحتلال ايران من قبل العرب المسلمين مرحلة منبوذة وحرجة يجب تجاوزها والعودة الى التأريخ الفارسي القديم. وكان رضا شاه يرى في مصطفى كمال اتاتورك مثلاً اعلى يقتدى به، وكان مؤمناً بأنه لا سبيل الى التقدم والإرتقاء إلا إذا أخذت ايران بكل ما تأخذ به أوروبا في حياتها المادية والإجتماعية، لقد تخلصت اوروبا من سلطان الكنيسة وسلطان البابوية على شؤون الحكم..فلتتخلص ايران أيضا من نفوذ وهيمنة الروحانيين والمؤسسة الدينية على المجتمع الذين كانوا في نظر الشاه رجعيين سياسياً واجتماعياً، وذلك بواسطة اعادة تركيب الهندسة الإجتماعية والثقافية بأستخدام قوة الدولة وفرض التغريب، متناسياً أن تركيب بنية الشعب الإيراني مختلفة عن الأوروبيين بل حتى عن بعض شعوب المنطقة، فتركيبة الإيرانيين تشكلت نتيجة ميراث من التاريخ الشيعي المؤمن والمتمسك بنظام الإمامة، شعب يدين بولائه للأئمة الدينيين الذين كان لهم دور كبير في نصرة الشعب المقهور ومعاداة النظام الاستبدادي في تاريخ ايران الحديث من انتفاضة التبغ والخروج عن ناصرالدين شاه القاجاري عام ١٨٩١ الى الثورة المشروطية في العقد الاول من القرن العشرين، الى معاداة محاولات رضاشا التحديثية وكذلك تأيدهم لقرار تأميم النفط عام ١٩٥١، والوقوف بوجه الثورة البيضاء التي اعلنته محمد رضا شاه بهلوي فيما بعد.[35]

هكذا، عمل رضا شاه طوال فترة حكمه على ضرب نفوذ رجال الدين في كل المجالات، ففي مجال القضاء تم تنظيم وزارة العدل على أُسس عصرية وتم تشريع قانون جزائي عام ١٩٢٦ وقانون مدني عام ١٩٢٨ كانت أغلب مواده مأخوذة من القانون المدني الفرنسي والسويسري، وصدرت خلال الثلاثينات تشريعات عديدة نقلت الى المحاكم المدنية الحديثة صلاحية النظر في امور كثيرة كانت تقع سابقاً ضمن صلاحيات المحاكم الشرعية التي يشرف عليها رجال الدين، مثل تسجيل الوثائق الرسمية وحقوق نقل الملكية والقضايا الشخصية الاخرى، وفي المجال الاجتماعي، فقد تقرر الغاء الحجاب وفرض على زوجات الموظفين خلع حجابهن وخروجهن سافرات، وكانت زوجة رضا شاه أول من طبقت ذلك، وتم تحديد سن الزواج، وحظر تعدد الزوجات، ومنح المرأة الايرانية حق الطلاق في ظروف معينة وصاحب ذلك الإهتمام بتعليم الاناث ايضاً.[36] ومن جهة أخرى، صدر في عام ١٩٢٨ قراراً يمنع ارتداء الزي التقليدي، وصار لزاماً على الايرانيين ارتداء الملابس والقبعات الأوروبية، وفي هذه السنة ايضاً تم اصدار قانون تضمن شروطاً بخصوص إرتداء العباءات والعمائم الدينية، تلك العباءات والعمائم السوداء التي كانت رمزاً للحداد على الحسين ابن علي (شهيد) الكربلاء، وبذلك حرم الكثيرين من رجال الدين من إرتداء هذا الزي، كما صدر امر بأغلاق الكتاتيب والمدارس التي كان التعليم فيها يقتصر على أمور الدين، وأصدر الشاه في عام ١٩٢٩ مرسوماً بمنع مواكب التعزية وإيذاء النفس في يوم عاشوراء، وتم إلغاء حق اللجوء أو الاعتصام (بست نشين)، واستولت الدولة في عام ١٩٣٩ على الاوقاف ومنع عن رجال الدين الاموال الطائلة التي يدفعها الشعب لزعمائه الدينيين اي (الخُمس). وفي غمار موجة العنصرية والتغريب التي روجت لها الدولة والنظام الشاهنشاهي البهلوي في ايران و

[35] **د .محمد رسن دمان السمطائي** : موقف المؤسسة الدينية تجاه سياسة الشاه محمد رضا بهلوي الداخلية (1964-1962) ، مجلة كلية التربية الاساسية، العدد١١، آذار ٢٠١٢، ص ٦٣٤-٦٤٤.

[36] موسى نجفى : مقدمات فكرى و سياسى پيدايش دوران پهلوى و مسئله دين و دولت و تجدد ، مجله تاريخ معاصر ايران ، شماره ١٥ و ١٦، پاييز و زمستان ١٣٧٩، ص ١٨٨-١٩٠.

طبقتها على مجمل الحياة الفكرية والثقافية والتعليمية من خلال هيئات مثل (انجمن برورش افكار/ هيئة التربية والافكار) التي أكدت على مسائل مثل: عراقة الجنس الآري، أصالة الحضارة الفارسية، تعظيم البلاط الشاهنشاهي وتمجيد سلطة الشاه المطلقة، وعدت الثقافات المحلية والفرعية بالوضيعة والإستهانة بها ورجعية الدين وتخلف رجالها، وأعد الرسالة الخالدة للقومية الفارسية، إهانة شعور القوميات غير الفارسية و إظهارها كخطر على أمن البلاد..الخ، على ضوء ذلك، تم تغيير المناهج الدراسية واتخذت المناهج وانظمة التعليم الفرنسية نموذجاً لتطبيقها في المدارس الايرانية، وتم استبدال الأشهر الغربية بالأشهر الفارسية القديمة، وأعيد الاحتفال بالأعياد القومية الفارسية القديمة واهملت الأعياد الدينية وظهرت دعوات ترمي لإلغاء الحروف العربية التي تكتب بها الفارسية بالحروف اللاتينية و كذلك إعادة الاهتمام بالديانة الزرادشتية بدعوى ان الاسلام دين اجنبي فرض على ايران وكان سبباً في تخلفها.[37] جدير بالذكر، ان رضا شاه قمع بقوة كل اعتراضات رجال الدين تجاه أي من قراراته تلك، كما حدث في جامع (گوهر شاد) عندما اعتصم الناس بتشجيع من رجال الدين ضد قرار الغاء الحجاب،[38] أمر الشاه بضرب المعتصمين بالنار وارتكب مذبحة جماعية هناك، وفعل رجاله مثله في مساجد اخرى.

و سار محمد رضا شاه بهلوي على نفس نهج والده بل تخطاه في كثير من الاحايين، فقد إعتقد تحت تأثير مدرسة الحداثة الغربية في اوروبا وامريكا بأنه لايمكن تحقيق الحداثة بدون القضاء على الثقافات المحلية و إحلال الثقافة الغربية الحديثة محلها، و جعل إتلاف وإستئصال هذه الثقافات هدفاً لتعبيد الطريق أمام نجاح إصلاحاته والتنمية في ايران، ورأى بأن الطبقة الإجتماعية المتوسطة الجديدة يمكن لها ان تكون حامل مشعل لهذه الثقافة الغربية الحديثة في المجتمع، كما قام مجموعة من المفكرين الإيرانيين المحسوبين على النظام بتبنى دعوة تقليل الترابط بين الدين والسياسة، والدور الذي يجب أن يقوم به الدين وعلماؤه في الحياة الاجتماعية الايرانية، ومن أشهَر هؤلاء المفكرين (أحمد كسروي) الذي ذاع صيته في اربعينيات القرن العشرين بسبب دعوته لمزيد من العلمانية داخل المجتمع الايراني وقتل من قبل متشدد اسلامي وهو سيد حسين امامي في ١٩٤٩ بعد ان صدر فتوى سري عن ارتداده من قبل العلامة اميني وآية الله حاج آقا حسن قمي.[39] هكذا، ففي عهد محمد رضا شاه، عملت الدولة على ترويج القيم الغربية على الثقافة الايرانية التقليدية مثل: تفكيك الروابط والعلاقات العائلية، العلاقة الحرة بين الجنسين، إرتداء الملابس الغربية السافرة، فتح الملاهي والمراقص والنوادي الليلية، شرب الخمور في الاماكن العامة، ترويج تجارة المخدرات وإزدياد كثرة إستخدامها من قبل الشبان، عرض الأفلام الاباحية في دور السينما، تغيير التقويم الاسلامي بالتقويم الفارسي القديم، التأكيد على تراث ايران قبل الاسلام وإحياء أعياد تخت جمشيد، تقريب غير المسلمين كالبهائيين واعطائهم مسؤوليات في البلاط والدولة وفي المجتمع، تشجيع الكتابات و نشر المقالات التشهيرية ضد رجال الدين والمعتقدات الدينية، منع إصدار الكتب الدينية وجعلها تحت المراقبة الشديدة للدولة، السيطرة على الاوقاف واستخدام المال في شراء ذمم بعض الآخوند ، إضعاف العلاقة بين الناس و زعمائهم الروحيين من خلال إغلاق المساجد والمراكز الدينية..الخ.[40]

من ناحية أُخرى أسهمت سياسات الشاه التحديثية وخاصة المتعلقة بزيادة أعداد الجامعات والمدارس في زيادة أعداد المتعلمين، وبالتالي حدوث ثورة التوقعات المتزايدة التي لم يستطع النظام استيعابها سياسياً واقتصادياً، ما أشاع الإحباط، وأدى الى انخراط الشباب الأيراني في حركة المعارضة بشقيها الديني و غير الديني (اليساري

[37] الدكتورة فرح صابر: المصدر السابق، ص ٢٣٢-٢٣٣.

[38] للمزيد : سينا واحد : قيام گوهرشاد، وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامى، اداره كل انتشارات و تبليغات ، چاپ اول ، ١٣٦١ش.

[39] فاطمة غلامى مقدم: انديشه سياسى فدائيان اسلام ، تاريخ پژوهى ، شماره ١٨، بهار ١٣٨٣ش، ص١٠٧.

[40] يحيى فوزى : عوامل ساختارى مؤثر بر رخداد انقلاب اسلامى در ايران، مجله علوم سياسى، شماره ٢، بهارو تابستان ١٣٨٥.

والديني–الليبرالي)، وبعد قمع الحركات المسلحة الثورية اليسارية في بداية السبعينييات من قبل النظام بشدة، توجه كثير من هؤلاء نحو الفكر الثوري المذهبي الشعبي واصبحوا جسراً لنقل أفكار المفكر علي شريعتي(١٩٣٣–١٩٧٧) الى العامة، كما اصبحوا حلقة وصل بين المدارس والجامعات وبين المساجد والحسينييات والبازار. كل ذلك أدى في ظل التحولات الأجتماعية والاقتصادية السريعة غير الموزونة والتناقضات الطبقية الحادة الى الخلخلة الثقافية وظهور أزمة هوية حقيقية عند أغلبية الطبقات والفئات المقهورة والمحرومة.[٤١]

رابعاً: دور المعارضة الثورية والقوى المناهضة للنظام

يعتبر هذا العامل من أهم العوامل الإرادية الفردية الذي كان له دور أساسي ومحوري في سقوط النظام الشاهنشاهي، فالثورة كتغيير داخلي وعنيف وسريع في النظام القيم السائد والمؤسسات السياسية والبنية الإجتماعية والنشاط الحكومي والقيادات، وكإنتقال السلطة السياسية من فئة قليلة الى جماهير الشعب نتيجة لحركة اجتماعية عنيفة تنمو بفضل توترات تحدث داخل النظام السياسي يترتب عليها انفجار شعبي يحطم النظام القائم ويؤدي الى استيلاء الجماهير على السلطة السياسية وعمل تغيير مفاجيء وسريع في توزيع القوى السياسية وعوائد النظام السياسي لصالح قطاعات اعرض من الشعب، يختلف كثيراً عن مظاهر العنف الجماهيري المنظم وغير المنظم كأعمال الشغب و الانقلابات و الحركات المسلحة المحلية الذي لا يرتقي الى مستوى الثورة، اذ أن وجود جماعة أو قيادة ثورية تحمل برنامجاً وقيماً ثورية تتضمن على الاقل الخطوط العامة للمشروع السياسي،الاجتماعي والاقتصادي المزمع اتباعها بعد إسقاط النظام، تعتبر ميزة أساسية في تأريخ الثورات.

ففيما تتعلق بهذه المسألة، يؤكد الأكاديمي الإجتماعي البرفيسور (جان فورَن) في كتابه القيم (تنظير الثورات) بأنه لكي تحدث الثورة، لابد من تصاعد المعارضة حتي تتجسد في سياق موحد ضدّ النظام السائد، ولذلك يجب إنبثاق ثقافة سياسية معارضة مناهضة تعمل على تشخيص الظلم وتوسيع فضاء عدم الرضا وفقدان الثقة من وبالسلطات والمؤسسات الحاكمة، إذ ليس الفقر و الاستغلال الهائلان في حد ذاتهما كافيين لتوفير الوضع الثوري، فلابد كذلك من الشعور الذي يحس به الناس ويشكل جزءً من البنية الفكرية والاجتماعية ، ولكي تستعد أكثرية الطبقات والفئات المعارضة وتجرؤ على الخروج الى الميدان ضدّ النظام هاتفةً بسقوط الاستبداد والظلم دون ان تهاب الموت، عليها ان تتوحد تحت شعارات جامعة كالحرية والاستقلال والعدالة. ولأجل ذلك يمكن الاستفادة من الثقافة الشعبية والأيدولوجيات السياسية كالليبرالية والقومية والاشتراكية، بل وحتى الشعور والخطابات الدينية المعارضة والأساطير الشعبية. لأن زيادة وتراكم الثقافة يؤدي الى زيادة الوعي وبالتالي الى قابلية أكثر لتضامن وتجمع أكثر الطبقات للفئات المتضررة الساخطة والنافرة من النظام السائد، وهذا بدوره يساعد على احتمال أكثر لحدوث الثورة وانتصارها.[٤٢] وكما قال فلاديمير ايليتش لينين، بأنه لايكون هناك عملية ثورية بلا نظرية ثورية، فأنه ليس

[41] مسعود غفاري و على اصغر قاسمي: نقش جنبش جوانان در گذار به دمكراسى در ايران ١٣٥٠–١٣٨٠ش، مجله علوم اجتماعى و انسانى دانشگاه شيراز، شماره ٤٧، تابستان ١٣٨٥، ص ٨٣.

[42] جان فورَن ، نظريه پردازي انقلاب ها، ترجمهء: فرهنگ ارشاد، نشر نى، ١٣٨٢، ص ٢٧٣.

هناك ايضا نظرية ثورية بلا قيادة وقوى ومفكريين ثوريين ينظرون للثورة و يعبئون لها ويهيئون اجواءها يفجرونها ويديرونها.

كانت هنالك في ايران قوى وأحزاب وجماعات ثورية كثيرة متعددة ومختلفة مناهضة للإستبداد السياسي والفساد الأقتصادي والظلم الاجتماعي والاغتراب الثقافي إبان العهد البهلوي، اذ يمكن تقسيمها بشكل عام الى تيارات ليبرالية، يسارية ودينية.

أ- **الليبراليون** : من الواضح، بأن التيار اليبرالي قد تبلورت في مرحلة تاريخية معينة يرجع الى أواخر القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين، عندما كان ايران تئن في ظل استبداد و فساد القاجاريين وسلطتهم المتخلفة، فقد كان للأنتليجنسيا الايرانية دورٌ كَبير في توجيه أذهان الشباب والفئة الواعية من الايرانيين صوب الإصلاح و التجدد بدءاً بنبذ الحُكم الاستبدادي والفردية في الحكم، والتحريض على الدستور وسيادة القانون، وفتح الأذهان صَوب التطورات العلمية والثقافية في العالم يومئذٍ، تلك الفئة التي تحولت بحكم إطلاعها على الأفكار الحديثة وأحتكاكها بالمجتمعات الأوروبية الى المنقذ للأوساط الاجتماعية البائسة التي خرجت منها، والتي كانت تفكر وتعمل وتُخطط من أجل إحداث تغيير جذري في الكيان السياسي والأقتصادي والأجتماعي للدولة القاجارية، وكانت لها دور كبير وواضح في أثارة الرأي العام الايراني ضدّ الشاه باعتباره غير قادر على قيادة الحكم في البلاد، لاسيما بعد تزايد النفوذ الأوروبي. ومن أهم السياسيين والمثقفين الايرانيين الليبراليين الذين كان لهم تأثير واضح في تهيئة اذهان الايرانيين ونشر ثقافة الحرية والمساواة والثورية: (أمير كبير ، امين الدولة، حاج ميرزا حسن رشدية، مرزا مالكوم خان ناظم الدولة، مرزا يوسف خان مستشارالدولة، مرزا فتحعلي آخندوف، مرزا آقاخان الكرماني، مرزا عبدالرحيم طالبوف، شيخ احمد الروحى ومرزا حبيب الأصفهانى)، اذ كانوا متأثرين بأفكار اوغست كونت وفلاسفة التنوير الفرنسي مثل روسو وفولتير ومونتسيكيو وغيرهم، كما كانوا متأثرين أيضاً بالليبرالية الإنكليزية وبالأخص الليبرالية الأقتصادية لستيوارت مل، وبأفكار الفلاسفة امثال بيكن، ديكارت وهربرت اسبنسر.[٤٣] لذلك لا غرو بأن الثورة المشروطية الايرانية في منتصف العقد الاول من القرن العشرين قد انفجرت حاملاً القيم والآيديولوجية الليبرالية، إلا ان الحرب الاهلية الداخلية واحتلال ايران في سنوات الحرب العالمية الاولى وتراجع المشروطية بعد انقلاب ١٩٢١ و تأسيس الدولة الشاهنشاهية البهلوية المستبدة اثرت كثيراً على نشاط هذا التيار واجبرت في ظل دكتاتورية رضا شاه أن تنسحب من الميدان، رغم ان بعض الشخصيات الليبرالية الايرانية مثل : محمد علي فروغي، سيد حسن تقي زاده، علي اكبر داوار، غلام حسين صديقي وآخرون قد ساعدوا رضاخان في البداية وشاركوا في تأسيس دولة ايران الحديثة.

لابد من القول بأنه بعد إندلاع الحرب العالمية الثانية وإحتلال ايران من قبل الحلفاء وإجبار رضا شاه على التنازل من العرش لصالح إبنه، تغيرت الظروف وإنتعشت الاوضاع السياسية والحياة الدستورية من جديد لفترة وظهرت أحزاب مختلفة تتنافس من اجل الفوز في الانتخابات وتشكيل الحكومة، كما ظهرت شخصيات سياسية ليبرالية بارزة مثل قوام السلطنة والدكتور محمد مصدق الذي تجمع حوله الكثيرون، خصوصاً ممن كانوا من خريجي الجامعات الامريكية و بعض الاساتذة الجامعات و المحامين والمثقفين والادباء الذين رغم ضعف التجربة السياسية والفكرية، آمنوا وعملوا من اجل تثبيت الحياة الديمقراطية البرلمانية الليبرالية والدستورية والإصلاح الاقتصادي، وانتقدوا سلوك الدكتاتور المستبد البائد رضا شاه و رجاله في البيروقراطية الحكومية من العسكريين والمدنيين،

[43] للمزيد:

عليرضا كلانتر مهر جردي: جريان شناسى ليراليسم در ايران : انقلاب مشروطه تا انقلاب اسلامى، تهران ، ٢٠٠٩

N. Jameel , The great French Revolution and establishment of concept (Law) and Freedom in Iran (second half XIX Perespectiv)Tbilisi, 2007 .

كما أكدوا على ضمان الحريات و اتباع سياسة قومية ووطنية مستقلة ومنع الدول الخارجية من إستغلال ايران من الناحية السياسية والاقتصادية.

وبعد انتهاء الحرب وحل مسألة اذربايجان و كوردستان لصالح الدولة المركزية في طهران، اصبحت مسألة النفط القضية الأساسية في أجندة الحكومات الإيرانية وكذلك موضوع إهتمام الدول العظمى، وخاصة بريطانيا و الإتحاد السوفيتي وبريطانيا، وكانت الأخيرة مسيطرة على النفط الإيراني من خلال شركة النفط الإنكليزية –الايرانية، كما إن الشاه اراد إستغلال الوضع وجعل من محاولة حادثة إغتياله عام ١٩٤٩، نقطة لمهاجمة معارضيه وإرجاع هيمنة البلاط والسيطرة على الحياة البرلمانية من خلال عملية تزويرات واسعة، وهنا برز دور الدكتور مصدق الذي شكل بمساعدة بعض الجماعات والشخصيات الايرانية الليبرالية الناشطة في (حزب ايران) و (حزب ملت ايران/حزب الشعب الايراني) و (حزب زحمتكشان ايران/ حزب كادحي ايران) ،امثال المحامي داريوش فروهر، الدكتور مظفر بقائي، دكتور كريم سنجابي، عبدالقدير آزاد، حسين مكي، حسين فاطمي وغيرهم وبتأيد بعض الجماعات و الشخصيات البارزة الايرانية الأُخرى، الجبهة الوطنية الإيرانية.[44]

إذ تمكنت الجبهة الوطنية التي كانت في بداية خمسينييات القرن العشرين من أهم التنظيمات السياسية الوطنية الإيرانية، من الوصول الي الحكم بقيادة مصدق وقادت حركة تأميم النفط الإيراني عام ١٩٥١ بهدف توجيه ضربة قاصمة للجهات الخارجية المستغِلة أي شركة النفط الإنكليزية –الايرانية و كذلك عملائها في الساحة السياسية والأجتماعية الأيرانية، كما عمل مصدق الذي اصبح رئيس الوزراء على إضعاف البلاط و وجه عدة ضربات لنفوذ الشاه وكبار ملاك الاراضي في تموز ١٩٥٢، فقد أبعد العناصر الملكية المؤيدة للملكية من وزارته، ونقل اراضي الشاه مجدداً الى الدولة، وقلص ميزانية لبلاط، وبدأ برنامج اصلاح زراعي وإصلاح نظام الضريبي، وقلص ميزانية الجيش وعزل ١٣٦ ضابطاً، منهم ١٥ برتبة جنرال، وشكل لجنة برلمانية للتحقيق في الفساد والرشاوي في عقد صفقات الاسلحة، وفي آيار ١٩٥٣ جرد الشاه من كل الصلاحيات والسلطات ووصل الخلاف بينهما الى حد خروج محمد رضا شاه من ايران في ١٦ آب ١٩٥٣.[45]

لم يقف الشاه مكتوفة الأيدي في الخارج بل بدأ بالاتصال برجاله الاوفياء داخل الجيش وتعاون مع المخابرات الاجنبية منها الامريكية (CIA) و البريطانية (MI6) و خططوا لأنقلاب ملكي تمكن بواسطته من اسقاط حكومة مصدق في ١٩ آب ١٩٥٣ والقضاء على الحركة الديمقراطية الوطنية. جدير بالذكر، ان دور الولايات المتحدة الامريكية و نفوذها في ايران قد تعززا كثيراً في السنوات اللاحقة بعد الانقلاب، ولكن الدور الذي قامت به امريكا، وهي رمز النموذج الليبرالي، ضد مصدق والحركة الديمقراطية الوطنية الايرانية، أدى الى فقدان التيار الليبرالي الثقة في سياسات الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة التي كانت لها سمعتها الايجابية عند الايرانين قبل ذلك، كما اضعف كثيراً جداً التيار واصبح مفهوم الليبرالية مرادفاً للتغريب الاعمى بل و حتى العمالة للإمبريالية في بعض الاحيان عند كثير من الايرانيين، كما أصبح إسم امريكا مرادفاً للطعن والغدر، وخاصة بعدما أصبحت الولايات المتحدة مصدر دعم خارجي رئيسي للحكم الدكتاتوري الذي أقامه محمد رضا شاه بعد الإنقلاب.

بعد إلقاء القبض على مصدق و محاكمته وفرض الإقامة الجبرية علية بسجنه داخل بيته، انتهى دوره السياسي، ولكن بعض من مؤيديه أمثال : شابور بختيار، الله يار صالح، مهدي بازرگان، داريوش فروهر، غلامحسيني صديق، دكتور كريم سنجابي و آخرون، واصلوا العمل السياسيي السري وحاولوا فيما بعد احياء الجبهة تحت اسماء متعددة مثل (نهضت مقاومت ملي/ النهضة الوطنية المقاومة في ١٩٥٣) و (الجبهة الوطنية الثانية في ١٩٦٠) و

[44] يرواند ابراهاميان، ايران بين دو انقلاب، ترجمه : كاظم فيروزمند ، حسن شمس آورى و محسن مدير شانه‌چى ، نشر مركز ، ١٣٨٠ش، ص٢٢٧–٢٣١.

[45] المصدر نفسه ، ص ٢٤٣–٢٤٧.

(الجبهة الوطنية الثالثة في ١٩٦٥) (نهضت آزادي/ نهضة الحرية في ١٩٦١)،[46] و وقفوا موقف المعارضة من الدكتاتورية البهلوية و الفساد وتبعية ايران للولايات المتحدة و طالبوا بالبديل اليمقراطي، وشاركوا في مظاهرات ١٩٦٠–١٩٦٣، وكانت الاخيرة، أي نهضت آزادي قد تأسست من قبل المهندس مهدي بازرگان إنتمي اليها بعض من الشخصيات ذات الخلفية الدينية مثل الدكتور علي شريعتي الذي أصبح احد المنظرين للثورة القادمة وكان له تأثير كبير كأُستاذ جامعي سوسيولوجي ومن خلال محاضراته وكتاباته على تنبيه الشباب الى دور الاسلام التحرري الراديكالي في مقارعة الظلم والظغيان والفساد والدفاع عن حقوق المجتمع، وكذلك الى خطر ثلاثية الفساد القائمة بين القصر والسوق والمعبد)، (السلطة–الثروة–الدين) أو ما أسماه في مناسبات أُخرى بالإستبداد والإستغلال والإستحمار،[47] مما أدى بالنظام أن يغتاله في لندن عام ١٩٧٧، دون أن يتمكن من إيقاف تسرب أفكاره الى حشود الثوريين من الطلاب والعمال والمهاجرين الذين كانوا يترددون أقوله كشعارات أثناء مظاهرات ١٩٧٨ ويكتبونه على الجدران. جدير بالنظر، ان الليبراين الإيرانيين قد تعرضوا في ظل الاستبداد البهلوي الى الملاحقة والسجن وفر منهم الكثيرون الى الخارج بسبب ضغط النظام. وفي ١٢حزيران ١٩٧٧ بعد ان تفاقمت الأوضاع في ايران، وجه كل من سنجابي و بختيار و فروهر، رسالة الى الشاه نبهوا فيها الشاه من تدهور أوضاع البلاد وطالبوه بالإصلاح الفوري وانهاء الإستبداد و إحياء المشروطية .[48]

ب- اليساريون : والتيار الاخر الذي عارض الإستبداد الشاهنشاهي و المشروع التغريبي والتبعية للولايات المتحدة والفساد هو تيار اليسار، فجذور التنظيمات اليسارية والفكر الثوري الراديكالي في ايران يرجع الى أواخر القرن التاسع عشر، فقد كانت المناطق الشمالية من ايران تأثرت بالأحداث التي كانت تجري في مناطق القفقاس التي اصبحت جسراً للأتصال الفكري والأجتماعي بين ايران روسيا، تلك المناطق التي كانت مجالاً خصباً للحركات الثورية ومنها دخلت ايران المفاهيم الثورية والأشتراكية وظهرت المجموعات اليسارية في شمال ايران وطهران العاصمة تحت اسماء مختلفة. وعندما بدأت صحيفة (الأسكرا / الشرارة) بالصدور في روسيا في ديسمبر ١٩٠٠، اخذ الثوريون الايرانيون في جلب نسخ منها الى ايران عبر باكو، حيث كانوا يعملون في حقول النفط هناك، وقد تأثر هؤلاء بأفكار الأشتراكية الماركسية وكانوا يؤمنون بأن انتصار الثورة الايرانية اسهل مما في روسيا لعجز الدّولة القاجارية ولعدم وجود جيش ايراني قوي يستطيع قمع الثورة حال اندلاعها، ولكن تداعيات الأحداث في روسيا القيصرية كانت اسرع مما هي في ايران، فقد سبقت روسيا بالثورة ضدّ قيصر، مما اضطره الى اعلان الدستور في ٣٠ من تشرين الأول عام ١٩٠٥ وتشكيل البرلمان "الدوما"، وهذا ما جعل الايرانيون يتأثرون بشكل اكبر بمجريات الأحداث هناك و ان يسرعوا في تطبيق تجربة البرلمان في بلدهم ويحاولون نشر أفكار حول ضمان العدالة الأجتماعية والمادية والحفاظ على استقلال ايران والهوية الوطنية ضدّ الهيمنة الأمبريالية الأوروبية ومصادرة اموال الشركات الأجنبية.[49]

فضلاً عن ذلك، كان هناك تياراً سياسياً وفكرياً في شمال ايران وبالأخص في آذربايجان وجيلان، مؤمناً بالإصلاحات الراديكالية الأقتصادية لصالح الطبقات العمالية والكادحة في نطاق نظام ديمقراطي برلماني، ومن ابرز من تمَثل هذا الاتجاه كل من محمد امين رسول زاده و ارشاوير جلنگريان الذان كانا على علاقة وإرتباط مع

[46] للمزيد: عيسى على پنا : ظهور و افول نهضت آزادى ايران (مانده از عافيت ، رانده از قدرت، مجله گزارش ، شماره ١٤٧ ، خرداد ١٣٨٢ش، ص ٣٨–٤٥.

[47] حامد الجار: الاسلام كآيديولوجية– فكر علي شريعتى، مجلة المسلم المعاصر ، العدد٣٤، ربع الثاني و جمادي الاولى و جماد الثانية ١٤٠٣، ص ٩–٢٨.

[48] لقراءة نص الرسالة راجع: http://www.melliun.org/nehzat/n05/37rouz.htm

[49] للمزيد : خسرو شاكرى: پيشينه‌هاى اقتصادى–اجتماعي جنبش مشروطيت و انكشاف سوسيال ديموكراسي ، تهران، اختران، ١٣٨٤، ص

زعماء الإشتراكية الديمقراطية الألمان امثال (كاوتسكي و برنشتاين).[50] هكذا ظهرت في ايران اولى التنظيمات اليسارية وشاركت في الأحداث السياسية مثل (حزب اجتماعيون عاميون في ١٩٠٥) و(حزب العدالة الذي أسسه حيدر عمو اوغلي و كريم نيكبين و سلام الله جاويد و أسدالله خفارزاده في ١٩١٧) و(حزب الشيوعي الايراني في ١٩٢٠) وقد حاول الحزب الشيوعي وتحت تأثير الثورة البلشفية تأسيس جمهورية شيوعية في كيلان شمال ايران برئاسة سردار ميرزا كجك خان. فبعد انقلاب ١٩٢١، هاجم رضاخان كيلان و دحر الشيوعيين وبعد جلوسه على عرش ايران بدأ بأتباع بسياسة شديدة جداً تجاه الشيوعيين وصدر قرار من البرلمان الايراني عام ١٩٣١ تم بموجبه حظر كافة التوجهات الأشتراكية والقاء القبض على كل شيوعي ايراني وزجه في السجون الشاهنشاهية.[51] جدير بالذكر، بأن هذا القرار شمل هذا القرار اليساريين الشباب امثال جماعة (تقي آراني) الذين تأثروا بالفكر الأشتراكي عندما كانوا طلاباً في المانيا، وقد قتل آراني في السجن في ٣ شباط ١٩٤٠، هكذا وقف اي نشاط لليساريين في ظل دكتاتورية رضا شاه بهلوي.[52]

بعد سقوط رضاشاه، قامت جماعة آراني المعروفون بجماعة (٥٣) نفر بعد خروجهم من السجن من تشكيل حزب جديد بأسم (حزب توده/حزب الشعب) في تشرين الاول عام ١٩٤١وكان من ابرز مؤسسيه: مرزا سليمان أسكندري، ايرج أسكندري، دكتور رادمنش، خليل ملكيو اردشير آوانسيان، إذ استفاد الحزب من تراجع الفاشيةو بروز دور الاتحاد السوفيتي ووجود الجيش الاحمر وتقوية الحركة الديمقراطية في ايران واصبح خلال فترة معينة اقوى حزب ماركسي جماهيري معارض في المنطقة وأكبر حزب على ساحة المجابهة الشعبية في ايران،[53] هذا الحزب الذي بدأ بتشكيل تنظيماته الخاصة بين العمال والطلاب والأساتذة والكتاب والنسوة في اكبر المدن الإيرانية ووقف ضد الدكتاتورية والرجعية والفساد السياسي والظلم الاجتماعي وطالب بتحقيق حقوق الطبقة العاملة والكادحة وتحسين ظروف حياتهم، وكان له تنظيم سرى داخل الجيش أيضاً. وقد شارك الحزب في انتخابات عام ١٩٤٣و حصل على اكثر ١٣٪ من مجموع الاصوات ودخل البرلمان الايراني بثمانية مقاعد. ولكن بعد إنتهاء الحرب و أسقاط حكومتي آذربايجان وكوردستان و خروج الجيش الاحمر وتزايد دور الشاه و الجيش في الاحداث، أغلق مكاتب الحزب في كثير من المدن و تم ملاحقة أعضائه وتعرض الى ضغط شديد إضطر كثير من قادته الى الخروج من ايران، وبعد حادثة فشل محاولة اغتيال الشاه في ٤ شباط عام ١٩٤٩ التي إتهم فيها حزب توده، صدر قرار بحل وحظر الحزب و أُغلِق ونُهِب مكتبه الرئيسي في طهران وأُلقي القبض على اكثر من ٢٠٠ شخص من كوادر الحزب وحكموا بالسجن لسنوات طويلة، كما حُكم كل من احسان طبري و فريدون كشاورز و دكتور رادمنش غيابياً بالإعدام. وبذلك تراجع دور الحزب كثيراً في الاحداث الايرانية.[54]

وقد إستغل الحزب تصاعد حركة تأميم النفط و وصول الجبهة الوطنية الى الحكم وتمكن من استعادة نشاطها بعد أن هرب ١٠ من اعضائه القياديين من السجن و شكلوا هيئة قيادية وعبئوا الخلايا النائمة للحزب، إذ اصبح الحزب في أواخر أيام حكم مصدق من اقوى الجماعات السياسة على الساحة الايرانيةوصل اعضائه الى (٢٥٠٠٠) و مؤيديه

[50] مهدى رهبرى، متجددان ايرانى و تجدد در عصر مشروطه (بررسى پيدايش جدال هاى فكرى در ايران جديد ، فصلنامه مطالعات ملى، شماره ٤، سال هشتم ، ١٣٨٦ش، ص ٧١.

[51] يرواند ابراهاميان: المصدر السابق ، ص١٢٧.

[52] حسين بروجردى : آرانى فراتر از ماركس ، تهران ، ١٣٨٢، ص ٩ .، أنور خامه : خاطرات سياسى (پنجا و سه نفر) ،تهران ، ١٣٧٢، ص ١٨–١٩.، بزرگ علوى : ٥٣ نفر ، تهران ، انتشارات جاويدان .

[53] احسان طبرى: كژراهه : خاطراتى از تاريخ حزب توده ، انتشارات امير كبير، تهران ، ١٣٦٦، ص ٥٠

[54] نورالدين كيانورى : خاطرات نورالدين كيانورى، مؤسسه تحقيقات و انتشارات ديدگا ، تهران، ١٢٧٢ ش ، ص ١٤٥.

الى ربع مليون تقريباً،[55] إلا إن موقف القيادة المتخاذلة للحزب والمناوئة لحكم مصدق وقرار تأميم النفط وكذلك سوء قراءة الاحداث والدوران في فلك مصالح الاتحاد السوفيتي سهلت كثيراً في نجاح عملية انقلاب ١٩ آب ١٩٥٣، ذلك الانقلاب الذي كان كارثة لجميع القوى المناهضة للدكتاتورية والتبعية للرأسمالية الغربية، وفي مقدمتهم حزب توده الذي لم يبق له حضور فعلي داخل ايران، حيث اكتشف جميع خلاياه السرية وأعدم كثيرون من كوادره وأُجبر قادته الى الفرار خارج البلاد،[56] ولم يعودوا إلا بعد أن إقترب النظام من السقوط عام ١٩٧٨، حيث عادوا بشكل سري وشاركوا في دك المسمار الأخير في نعش النظام.

من جانب آخر، فقد اثرت التطورات الداخلية من فرض نظام قمعي شمولي وتراجع المعارضة السلمية في ايران، وما تمخضت عنها من نتائج سلبية للثورة البيضاء منذ بداية الستينييات من جهة، وكذلك الخلافات السياسية والآيديولوجية الشديدة في بلدان المنظومة الأشتراكية (الصين والإتحاد السوفيتي) و انتصار الحركات الثورية المسلحة لشعوب في آسيا وافريقا وأمريكا الاتينية مثل (كوبا، فيتنام، جزائر..الخ، من جهة أُخرى، الى تغيير نوعي في حركة اليسار الايراني وظهور قوى وجماعات يسارية جديدة راديكالية تؤمن بمقاومة النظام والعمل على الإطاحة به بواسطة (حرب العصابات). فقد تأسست (سازمان چريكهاى خلق ايران / منظمة فدائي خلق الايرانية المسلحة)[57] عام ١٩٧١ وكانت نتاج اندماج اثنتين من الجماعات الثورية الصغيرة، جماعة (جزني – ظريفي) وجماعة(مسعود أحمد زاده). كان أعضاء جماعة جزني – ظريفي أعضاءً سابقين في منظمة الشباب التابعة لحزب توده الإيراني، في حين كان أعضاء الجماعة الثانية في الغالب من أتباع الجبهة الوطنية والمنظمات التابعة لها.

في عام ١٩٦٣، قام بيزن جزني بتنظيم الاجتماع الأول. وبحلول عام ١٩٦٦، عندما انضم حسن ضياظريفي لجزني، توصلا لنتيجة مفادها أن النفوذ الأمريكي القوي في إيران والقمع ضد المعارضين الليبراليين الإيرانيين، جعلا النشاط السلمي غير فعال على الإطلاق. ومن ثم فقد كان يُنظر إلى الكفاح المسلح باعتباره الطريقة الفعالة الوحيدة للتحرر. بعد مرور فترة قصيرة، في ٨ فبراير عام ١٩٧١، بدأ تسعة أعضاء في الجماعة بقيادة (علي اكبر صفائي) هجومهم الأول على مركز لقوات الدرك في قرية (سياهكل) الصغيرة في غابات كيلان الشمالية، وقد اعتبر هذا الهجوم نقطة تحول في الكفاح المسلح لليساريين ضد الشاه.[58] بعد الاعتقال اللاحق لأعضاء الجماعة المسلحة ووفاتهم، اتحدت الجماعتان رسميًا ونشأت منظمة فدائيي خلق الإيرانية المسلحة. في الفترة ما بين عامي ١٩٧١ – ١٩٧٩، تعرضت منظمة الفدائيين لهجوم مكثف من جانب جهاز السافاك،حيث قام بقتل ما يقرب من ٣٠٠ عضو من أعضاء المنظمة. في هذه الفترة تم القبض على معظم أعضاء المنظمة أو قتلهم بمن فيهم قائدها حميد اشرف الذي يعتبر موته خسارة كبيرة للمنظمة.[59]

والمنظمة اليسارية الراديكالية الأُخرى التي اصبحت من اقوى المنظمات السياسية الايرانية فيما بعد هي (سازمان مجاهدين خلق ايران/ منظمة مجاهدي خلق الايرانية)[60]التي خرجت من رحم حزب النهضة الايرانية وتأسست عام ١٩٦٥ من قبل مجموعة من شباب خريجي الجامعات مثل: محمد حنيف نزاد، علي اضغر بديع زادكان، سعدي محسني، وقد ألف (احمد رضائي) احد اعضاء التنظيم كتاب بعنوان (النهضة الحسينية) حاول فيه المزج بين الدين الاسلامي والقومية الايرانية والنضال ضد الرأسمالية والامبريالية، أو مايعرف باليسار الاسلامي أو

[55] يرواند ابراهاميان: المصدر السابق ، ص ٢٨٨–٢٨٩.

[56] نورالدين كيانورى : المصدر السابق، ص ٢٥١–٢٥٢.

[57] للمزيد: دكتر سيد جلال الدين مدنى ، تاريخ سياسى معاصر ايران ، جلد أول ، دفتر انتشارات اسلامى ، قم، ١٣٦١ش.

[58] غلام رضا نجاتى : تاريخ سياسى ٢٥ ساله ايران (از كودتا تا انقلاب)، تهران، ١٣٧١ش ، ص ٣٨٢.

[59] ژان فورن: تحليلى از انقلاب ايران ، ترجمه: سيد صدرالدين موسى ، پژوهشنامه‌ى متين ، شماره ١٩، تابستان ١٣٨٢ش، ص١٤٢.

[60] للمزيد: على حقجو: تحليلى ببطرفانه از: سازمان مجاهدين خلق ايران، انتشارات روج، مركز پخشن ناصرخسرو، ب.ج، ب.ت.

الاشتراكية الاسلامية. وكان للدكتور علي شريعتي تأثير واضح على منظمة المجاهدين من الناحية الفكرية، تلك المنظمة التي بدأت بالأصطدام المسلح بالنظام من خلال وضع العبوات والقنابل وإغتيال بعض من مسؤولي الدولة، الا إن السافاك كان لها بالمرصاد وقتل منهم ٧٣ نفراً في مصادمات دموية،[٦١] كما هاجم قيادة المنظمة وتم اعتقالهم والحكم عليهم بالإعدام جميعاً ماعدا (مسعود رجوي). مع كل ذلك تمكن هذه المنظمات اليسارية من تعبئة ملايين الإيرانيين في سنوات ١٩٧٨–١٩٧٩ وكان لهم دور واضح في إثارة الناس ضد الشاه و قيادة المظاهرات لإسقاطه.

ج- المؤسسة الدينية و الإسلاميون-الشيعة الثيوقراطيون :

لسنا هنا بصدد تقديم دراسة تأريخية سردية عن المؤسسة الدينية في ايران وظروف تشكيلها وتفسير هيكليتها وتحليل عوامل تقويتها اكثر مما نود التأكيد على حقيقة واحدة، الا وهي قوة ارتباط هذه المؤسسة و رجالها بالشعب الايراني، وقابليتها في التأثير عليه وتعبئته وتحريكه ليس على المستوى الديني فقط، بل على المستوى الأجتماعي والسياسي، وهذا ما اشارت اليه الباحثة في شؤون الثورات (تدا سكاج بل)[٦٢]، فمن المعلوم ان المؤسسة فرضت نفسها على الساحة الإيرانية، بعد أن تبلور مفهوم التقليد، وأصبحت مرجعية التقليد قوة سياسية واجتماعية واقتصادية ذات حضور ملموس، وبعد أن توحد علماء الدين في صورة ظاهرة التقليد بعد وقوع غيبة الإمام محمد بن حسن العسكري (المهدي المنتظر) عام ٣٢٩هجري، حتى أصبح كل فرد من عوام الشيعة مقلدًا لأحد الفقهاء الكبار (المراجع)، وساد اعتقاد بين العوام أن تدين الفرد لا قيمة له ما لم يكن مقلدًا لمرجع ما (من ليس له امام فالشيطان امامه)، وبذلك تمكن الفقهاء من إيجاد رباط قوي بين القيادة الدينية وجمهور الشيعة، واتضحت هذه الرابطة من خلال قيام جمهور الشيعة، عن طواعية بنصرة الامام ودفع (الزكاة) و(الخمس) للفقهاء باعتبارهم وكلاء الإمام خلال غيبته.

لقد كان علماء الدين طبقة مميزة في العصر الصفوي، وكانت أقوى طبقات المجتمع وأكثرها ثراء، وشهد العصر القاجاري (١٧٩٥–١٩٢٥م) ميلاد الدور السياسي الفعال للمؤسسة الدينية، حيث أظهر الشيخ مرتضى الأنصاري (١٨٠٠–١٨٩١م) . الحوزة كمؤسسة باجتهاده وباعه الطويل في الفقه، وبعقليته التنظيمية المتفتحة، وكان له الفضل في التكثيف الفعلي للحوزة الدينية فكريًا وتنظيميًا، ولهذا فإنه يعتبر المرجع الأول للحوزة العلمية بصورتها الحالية، وهو الذي أفتى بعد أن أصبح مرجعًا أعظم بأن يوجه سهم الإمام في الزكاة وهو الخمس إلى إنشاء مراكز علمية محلية تتبع المركز الرئيسي في النجف، واهتم في مؤلفاته ودروسه بتأصيل مفهوم التقليد أو العلاقة بين الناس والمجتهد، والربط بين العلماء والجماهير على أساس ديني.[٦٣] وبعد وفاة الشيخ الأنصاري خلفه الميرزا محمد حسن الشيرازي عام ١٨٦٤م، والشيرازي يعد المرجع السياسي الأول في الحوزة، وهو صاحب أول انتصار سياسي للفقهاء، وهو الانتصار الذي تحقق بعد أن أصدر فتوى تحريم الدخان، وبأن امتياز الدخان في إيران الذي منحه ناصر

[61] راجع الفصل الاول من : گروهی از پژوهشگران : سازمان مجاهدين خلق (پيدايی تا فرجام ١٣٤٤–١٣٨٤) ، بازنشر: بوكيها.

[62] Theda Skocpol: Rentier State and Shi'a Islam in the Iranian Revolution, Theory and Society Vol 11, May 1982.

[63], فيصل عبد الجبار عبد علي، التاريخ السياسي للمؤسسة الدينية في إيران ١٥٠١–١٩٠٩، رسالة ماجستير قدمت إلى معهد الدراسات الآسيوية والافريقية – الجامعة المستنصرية، ١٩٨٨م.

الدين شاه لشركة بريطانية عام ١٨٩٠ يخالف الشريعة، فأمتنع عامة الشعب عن التدخين،[٦٤] وتوقفت اعمال الشركة، وفقد الشاه نصيبه من ارباح الشركة، فألغى الامتياز في ١٥ آيار ١٨٩٠. وكان ناصرالدين من اقوى شاهات قاجار الذي حكم نصف قرن الى ان اغتاله احد مريدي جمال الدين الافغاني واطلق النار عليه وقال : "خذها من يدي جمال الدين". [٦٥]

وكما قلنا سابقاً، لقد كان الروحانييون وعلماء الدين ووعاظ الجوامع المعادين للبلاط القاجاري الذين كان لبعض منهم امثال: الآخوند ملامحمد كاظم الخراساني، شيخ عبدالله المازندراني، مرزا حسين خان خليلي الطهراني، سيد كاظم اليزدي، السيد محمد الطباطبائي، شيخ مهدي سلطان المتكلمين، شيخ محمد سلطان المحققين، سيد اسدالله الخرقاني، شيخ ابراهيم الزنجاني، سيد جمال الواعظ، وكل من الشيخ محمد حسن النائيني وسيد حسن تقي زادة دور لايمكن انكاره في التحضير للثورة المشروطية ١٩٠٥–١٩٠٩ وقيادتها وتوجيه الأعتصامات وتقوية معنويات الثوار والتحدث بأسم الأمة والمطالبة بإنهاء استبداد وفساد وظلم الحكومة القاجارية ووضع حد للتدخل الأجنبي وإقامة العدل والعمل على حفظ الدين وتطبيق الشريعة واصلاح احوال البلاد والعباد،[٦٦] جدير بالإشارة، ان الروحانيين كان لهم تصورات خاصةً حول مفاهيم كالحرية والمساواة والتقدم، وقد تمكنوا في فرض مادة في دستور عام (١٩٠٦م) كانت تنص على وجوب حضور خمسة من كبار علماء المذهب الشيعي . على الأقل . في البرلمان الملكي لبحث مدى تطابق القوانين الصادرة من البرلمان مع الشريعة الإسلامية أو عدم تطابقها.

ثم يأتي تحالف آية اللّه الكاشاني مع مصدق، ودوره في تأميم صناعة البترول في إيران في آذار ١٩٥١،حيث كانت حركة التأميم حركة شعبية واسعة النطاق وجهها المدني هو مصدق ووجهها الديني هو الكاشاني الذي ذهب بنفسه الى ميدان المواجهة، نزع ملابسه ولف نفسه بالكفن استعداداً للموت، وقد ترأس الكاشاني جمعية بأسم (مجاهدي اسلام) مع ثلاثة من التجار الاثراء وأحد الوعاظ وهو شمس الدين قناة آبادي، طالبت بتطبيق الشريعة الاسلامية وإلغاء القوانين العلمانية وإعادة فرض الحجاب على المرأة.[٦٧] وهنا بالذات يجب الاشارة الى منظمة إسلامية شيعية راديكالية إرهابية سرية كانت مرتبطة بالكاشاني وهي (فدائيان اسلام) أسسها (مجتبى ميرلوحي المعرف بنواب صفوي) عام ١٩٤٦، وكان شاب اصولي شيعي بارع في الخطابة، زار مصر عام ١٩٥٤ والتقى بعمر التلمساني وكان على علاقة بالاخوان المسلمين.[٦٨] دعت هذه المنظمة الى النضال المسلح لإقامة دولة اسلامية وتطبيق الشريعة ومعاداة المستغربون واستخدمت الإرهاب في فرض آرائها و قامت بعدد من الأغتيالات للتخلص من بعض رموز السلطة وشخصيات بارزة مثل: احمد كسروي، عبدالحسين هزير وزير البلاط، الجنرال رزم آرا رئيس الوزراء، محاولة قتل حسين علاء فيما بعد..الخ وصعدت من نشاطاتها مع صعود حركة تأميم النفط، إلا انها تعرضت لملاحقة شديدة من قبل النظام الشاهنشاهي بعد انقلاب عام ١٩٥٣ و ألقي القبض على أعضائها من ضمنهم نواب صفوي رئيس المنظمة، وتم اعدامهم دون ان يبالي النظام بالمناشدات التي جاءت من الجهات والشخصيات الاسلامية كالاخوان المسلمين و آية الله خميني لثنيه عن تنفيذ الحكم. [٦٩]

[64] عبدالكريم تبريزی : ميرزا شيرازی و حماسة تنباكو، مجله مبلغان، شماره ٦٦، اردیبهشت و خرداد ١٣٨٤، ص ١٦–١٩.

[65] زهير ماردیني، المصدر السابق ، ص ٥٢.

[66] عبدالهادی حائری: تشيع و مشروطيت در ايران و نقش ايرانيان مقيم عراق، تهران ١٣٦٤ ؛ دكتر جمشيد فاروقی ، روحانيون سياسی يا اسلام سياسی– چند نكته پيرامون نقش روحانيون در انقلاب مشروطه، فصلنامه تلاش ، ١٥ مرداد ١٣٨٥.

[67] آيت الله كاشانی، فدائيان اسلام و نهضت ملی شدن صنعت نفت : گفت و گو با حجت الاسلام والمسلمين حسن مهاجری شريف يزدی (يزدی زاده)؛، مجله يازده خرداد ، شماره ٢٢، زمستان ١٣٨٨ش، ص ٣٧٩–٣٨٦.

[68] د.احمد يوسف: الاخوان المسلمون و الثورة الاسلامية في ايران (جدلية الدولة والأمة في فكر الإمامين البنا والخميني)، تقديم: محمد الهندي، يونيو، ٢٠١٠،ص ٢٥.

[69] سيد محمد حسين منظور الاجداد : فدائيان اسلام ، مجله گفتوگو، شماره ٢٩، پايز ، ١٣٧٩ش، ص ٢٢٣–٢٢٩.

وهنا بالذات يجب الإشارة الى دور آية الله خميني كمناهض للنظام، ومنظر للثورة، ومعبئ للحشود الإيرانية المحرومة، ومظلة للثوريين الايرانيين الناقمين من الشاه، وكقائد ثوري حانق وعنيد لايعرف المساومة، واعياً لأخطاء سلفه، ومنظماً لأتباعه تنظيماً هرمياً متماسكاً، ذكياً في خطواته السياسي، مستغلاً اخطاء النظام والبون الشاسع بينه وبين الشعب وكذلك الفراغ الروحي والوجداني الذي نتج عن القمع السياسي والاجتماعي والاغتراب الثقافي وغياب العدالة، مهاجماً لقيمه واجراءاته، وناقداً بليغاً للادينيته وفساده وتبعيته، وخارجاً عليه غير راض بقطع علاقته مع اسرائيل والعمل على استقلال البلاد ورفض التبعية لأمريكا والعمل بالدستور واحترام القانون ونبذ سياسة القمع فقط، بل كان يدعو الى قلع جذور النظام الشاهنشاهي وإقامة دولة اسلامية نمطية بديلة يقوم فيها امام (جامع الشرائط) بنيابة عن مهدي المنتظر بقيادة الأمة والدولة، يتولى الفقهاء مسؤلية الحكم بشكل مباشر. [٧٠]

من المعلوم، ان الخميني ظهر كمعارض سياسي في بداية الستينيات، وبدأ مواجهته الصريحة للشاه محمد رضا بهلوي من داخل حوزة قم العلمية التي أحالها الخميني إلى خلية ثورية ملتهبة. ولما وجد الشاه أن الخميني نجح في تفجير سخط الجماهير على نظامه، سجنه ثم أفرج عنه ونفاه إلى تركيا في نوفمبر عام ١٩٦٤م. وفي أكتوبر عام ١٩٦٥ ترك خميني تركيا وتوجه إلى العراق، وفي العراق طرح قضية ولاية الفقيه من خلال محاضراته في حوزة النجف، وكان حديثه يدور حول اضطلاع الفقهاء بتشكيل الحكومة الإسلامية وجمع افكاره تلك في كتاب (الحكومة الإسلامية) الذي كان بمثابة قنبلة ايديولوجية،[٧١] وفي أكتوبر عام ١٩٧٨م غادر العراق وتوجه إلى فرنسا.

وكانت البيانات التي يرسلها الخميني من منفاه تشتمل على موضوعات يدعو فيها إلى إسقاط نظام الشاه. وكان يؤكد في بياناته دائمًا على أن حوزة قم العلمية هي التي ستحيى الإسلام وإيران. وكان طلاب الحوزة يستمعون طوال خمسة عشر عامًا إلى خطبه وتعليماته الجذابة[٧٢] التي كانت تصل إليهم تباعًا خلال شرائط (الكاسيت)، وكان للمؤسسة الدينية في إيران قبل الثورة الإسلامية وجود متميز ومستقل، وكانت لها سمات حافظت عليها منذ نشأتها، مما جعلها قادرة على إفراز قيادات سياسية تستقطب الجماهير خارجها من ناحية، وتربي قيادات جديدة تدفع إلى الساحة عندما يجد الجد من ناحية أُخرى. واستغلال المؤسسة الدينية حولها إلى قوة لها وزنها، فالمرجع الذي صار تقليده وجوبيًا عند الشيعة الإثنى عشرية، أصبح دولة داخل الدولة، فعنده تصب أموال الزكاة والخمس التي يخرجها المقلد عن ماله كل عام، مما جعله يشكل كيانًا ماديًا ومعنويًا مستقلا، بل يسميه البعض مركزية أو سلطة روحية ومالية. وهذا الاستقلال هو الذي ساعد بروز دور رجال الدين في الثورة،[٧٣] وقد حافظت الحوزات على استقلالها سنوات طويلة، وكانت أشبه بقلاع حصينة قاومت العديد من الضغوط التي مارستها الحكومات المتعاقبة عليها. ودافعت عن هذا الاستقلال.و هذا الاستقلال نوعان: استقلال ثقافي، بمعنى أن الحوزات العلمية في إيران حافظت في العهد البهلوي على حياتها المستقلة ونظامها التعليمي المستقل وبرامجها الدراسية المستقلة. كما حافظت على شكلها الظاهري، وحافظ الطلاب والأساتذة على زيهم المستقل، واستقلال اقتصادي، حيث لم يكن للحوزات العلمية أية صلة اقتصادية بالحكومات قبل الثورة، مما جعلها بعيدة عن سيطرة الحكومات وهيمنتها، وأدى إلى إطلاق يدها وتحريرها من قيود هذه الحكومات، على الرغم من أن هذه الحكومات حاولت مد هذه الحوزات بالأموال لربطها بها، لكنها فشلت، وأن رضا شاه قلص عدد المدارس الدينية إلى حد كبير، واتخذ إجراءات قلصت

[70] للمزيد حول دور آيت الله خميني في الثورة الايرانية: حسين حسيني : رهبرى و انقلاب (نقش امام خمينى در انقلاب اسلامى)، تهران، ١٣٨١.

[71] روح الله الموسوي الخميني: الحكومة الاسلامية، ترجمة وتقديم: حسن حنفي، القاهرة، ١٩٧٩.

[72] Roy Mottahedeh, The Mantle of the Prophet: Religion and Politics in Iran (New York: Simon and Schuster, 1985).

[73] للمزيد :

Shahrough Akhavi: The Ideology and Praxis of Shi'ism in the Iranian Revolution , *Comparative Studies in Society and History*, Volume 25, Issue 2, 1983, pages 195-221, Cambridge University Press.

نفوذ علماء الدين في مجال التعليم والقضاء وأن ابنه محمد رضا شاه فرض سيطرة أقوى للدولة على أراضي الوقف وموارد المؤسسة الدينية بإنشاء مؤسسة خاصة للأوقاف.

وبالإمكانيات الاقتصادية الضخمة، وبالأموال الطائلة التي كانت تقدم إلى مراجع التقليد في شكل خمس أو زكاة، استطاع علماء الدين في إيران إدارة الحوزات التي كانت ولازالت تضم عشرات الآلاف من الطلبة والوعاظ والخطباء وأئمة الجماعة والمدرسين والفقهاء، وكان طلاب هذه الحوزات يحصلون على رواتب شهرية من الأموال التي تقدم للمراجع. وكانت المساجد في إيران مرتبطة ارتباطًا مباشرًا بقمة المؤسسة الدينية ماديًا ومعنويًا. هذا فضلاً عن العلاقة الوثيقة بين التجار وبين المؤسسة الدينية. إذ ظل هذا القطاع العريض من التجار الكبار والصغار والحرفيين هو الممول الأساسي للمؤسسة الدينية. أي أن البازار (السوق) ألقى بثقله في كفة المؤسسة الدينية: مما كان أحد الأسباب التي أدت إلى تقوية معسكر الثورة، وزلزلة النظام الملكي، ثم، إلى نجاح الثورة[٧٤].

خامساً: ضعف شخصية الشاه القيادية

من الحقائق المسلم بها، إن المجتمعات التي تفتقد بنيانها الى المؤسساتية وتصنع فيها القرارات السياسية من خلال الدوائر الشخصية من الطبيعي جداً ان يكون لسلوك الافراد والنخبة السياسية من أصحاب القرار تأثير فعلي واضح على التغييرات السياسية. من هذا المبدأ لا يعتبر هذا العامل أقل أهمية من العوامل السابقة في اندلاع الثورة الايرانية وسقوط النظام الشاهنشاهي، لأن الشخصية القيادية الضعيفة للشاه أثرت بشكل سلبي واضح على ضعف كيان الدولة و تراجع مشروعية النظام وهشاشة موقفه أمام الرأي العام في الداخل والخارج، مما هيأت الأرضية الخصبة لأنفجار الإحتقانات المتراكمة وأعطت الجرأة لمناهضي الشاه في الخروج والمطالبة بسقوطه.

وممن أشار الى هذا العامل المهم وقدم تحليلاً سايكولوجياً عن شخصية محمد رضا شاه هو الباحث (مارفين زونيس Marvin Zonis) استاذ جامعة شيكاغو الذي يري في كتابه (سقوط ملكية) بأن تربية محمدرضا في الطفولة داخل حريم البلاط الشاهنشاهي في البداية وتنشئته فيما بعد كولي للعهد في ظل دكتاتور طاغية كرضا شاه وفي جو منعزل اثرت سلبياً على شخصيته،[٧٥] كما ان ارساله في الثانية عشرة من عمره الى سويسرا للدراسة في مدرسة خاصة كانت سنوات عصيبة مرت عليه، واصبح محمد رضا بذلك ذات شخصية متذبذبة، شكاكة، متناقضة، مترددة و ضعيفة، كما كان يفتقد الى الأستقرار العاطفي ورباطة الجأش والهدوء والقدرة على توقع التطورات وخاصة عند اشتداد الضغوط، بشكل لم يستطع طوال فترة حكمه ان يتخذ القرارات الحاسمة بدون بعض الإتكال على شخصيات قوية من المقربين مثل اخته اشرف واسدالله علم ودون أستشارة سفارة الولايات المتحدة وموافقة امريكا، وعند تفاقم الوضع في ايران عام ١٩٧٨ كان الشاه وحيداً لم يجد من يساعده في اتخاذ القرار الصائب، بل لم يدرك خطورة الامر أصلاً إلا عندما شاهد من سماء طهران وهو على متن مروحيته الخاصة ملايين من الايرانيين يهتفون بسقوطه.

من جانب آخر، لقد ورث محمد رضا شاه التاج من ابيه في ظروف معقدة جداً، بعدما ابعد البريطانييون رضا شاه وساعدوا محمد رضا في الجلوس على العرش وهو شاب في الثانية والعشرين من العمر، وبسبب تنشأته العسكرية وضيق الأفق السياسي والمعرفي من جهة، و هيكلية الدولة الإيرانية التي هندسها ابوه قبل ربع قرن، لم يستطع محمد رضا من التخلص من الأرث الإستبدادي ولم يستفاد من التجارب السابقة، بل حاول تقليد أبيه وتجاوزه في

[74] يحيى فوزى : المصدر السابق، ص ١١١-١١٢.

[75] ماروين زونيس : شكست شاهانه (روانشاسى شخصيت شاه) ، ترجمه: عباس مخبر، چاپ أول، تهران، ، ١٣٦١، ص ٦٧-٧٠.

التسلط والاستبداد في كثير من الاحيايين. كان محمد رضا شاه أنانياً نرجسياً مغروراً غير محتمل للنقد و أفتقد الى الحكمة والمرونة والجرأة والثقة بالنفس. وعمل بمبادىء سلبية مثل: (الغاية تبرر الوسيلة)، (كلما كنت مطيعاً إذن انت الأفضل)، (مهما كنت فأنت لك ثمن)، (مهما كنت أنت فأن الخوف يردعك)، (لابد للإنجازات من ضحايا) و (الأهداف قبل الأتباع)، (إذا لم تكن معي فأنت ضدي)!..الخ. لذلك كان الشاه الايراني بخلاف نابليون بونابرت عندما قال لجنوده " كل واحد منكم لا يطمح أن يكون جنرالاً، لا يقل انه من اتباع نابليون، وهو جندي فاشل"، فأنه كره وحقد على كل اتسم بالإرادة والشجاعة والأقدام والرزانة من أتباعه امثال: الجنرال رزم آرا و فضل الله زاهدي، اللواء كيانوري، المقدم مرتضى يزدان بنا و سردار فاخ حكمت ..الخ، وكان يفضل ويقرب اليه الراضخين والصاغرين الضعفاء امثال: عباس هويدا و شريف امامي، ويعينهم في اعلى مناصب الدولة لا لكفاءتهم بل لكونهم وعلى حد قول الشاه "كبريت بلا خطر".[٧٦]

وفي الفصل الرابع من كتابه الآخر الذي كتبه مارفين زونيس بعنوان (سايكولوجية النخب السياسية الإيرانية) أشار الباحث الى انه كيف أثر شكاكية الشاه وخوفه من المؤامرة عليه، على التعامل مع النخب السياسية الذي اتسم بعدم الثقة وابتعد عن القيادة الجماعية الى أبعد الحدود، فقد عمل الشاه بمبدأ (فرق تسد) و عين أشخاص في مناصب الدولة وهم خصوم يكنون العداء لبعضهم البعض، كما لم يعطي اية مناصب حساسة لأشخاص كفوئين يمكن لهم أن يتصرفون بأستقلالية ومسؤلية بحيث يتمكنون بأتخاذ أية قرارات في الوقت المناسب ولو كانت بسيطة.[٧٧] يقول فريدون هويدا :" في عام ١٩٧٧، قال لي وزير الداخلية بأن أعداد الكلاب السائبة في طهران قد إزداد في الآونة الأخيرة و بأنه كتب تقريراَ مفصلاً الى الشاه حتي يسمح لنا ونصدر أمراً بالقضاء عليها."[٧٨] ولم يكن الجيش الشاهنشاهي بمنأى عن ذلك، فطوال العهد البهلوي الثاني (١٩٤١–١٩٧٩) لم يرأس الجيش الشاهنشاهي قائد كفوء ذو هيبة يكون محبوباً من قبل الشعب الإيراني، وكان هناك خلاف دائمي حاد بين عناصر قياداته لايوحدهم إلا الطاعة والولاء للشاه، لذلك عندما تفاقم الأوضاع وخرج الشاه من ايران، لم يستطع هذا الجيش العرمرم ان يعمل شيئاً لمصلحة الشاه، بل تخاذل وساد فيه روحية استسلامية ووضع السلاح جانباً.[٧٩]

وكما قلنا سابقاً فأن الشاه كان يظهر دائماً بمظهر الملك الذي يحكم بتفويض الهي وبأن الله قد أختاره لينقذ ايران بنفاذ بصيرته وبراعته وكان يتلذذ من وقوف الضباط الكبار ووزراء الدولة في صفوف لتقبيل يده، يعتقد بأنه ملهم ومعبود الجماهير وانه أمل الأمة الايرانية في الوصول الى (تمدن بزرگ/ الحضارة الارقى) وكان مصاباً بمرض (جنون العظمة/ Megalomania)، إلا ان الواقع أثبتت بأنه كان مكروهاً ومنبوذاً عند اكثرية الطبقات والفئات من الشعوب الإيرانية وكان بالنسبة لها مصدر الظلم والفقر والسأم لا بد التلخص منه، لذلك لاغرو ان هذا الشعور السيء تجاه الشاه كان عاملاً اساسياً في توحيد تلك الطبقات والفئات ضد النظام وخرج الحشود الايرانية للشارع تهتف (مرگ بر شاه/ الموت للشاه)، آنذاك وفي الوقت الضائع فقط ادرك الشاه الشعور الحقيقي للايرانيين تجاهه عندما قال " لقد سمعت صوت ثورتكم".[٨٠]

كما اشار زونيس، بأن اكتشاف اصابة الشاه الإيراني بمرض السرطان عام ١٩٧٥ من قبل اطباء فرنسيين، وأشتداد مرضه أثناء تفاقم الأوضاع الإيرانية أثر كثيراً في تدهور حالته النفسية بشكل افقده القدرة على المواجهة

[76] فريده ديبا : دخترم فرح (خاطرات فريده ديبا) ، ترجمه : الهه رئيس فيروز، تهران ، ١٣٨٢، ص ١٨٦.

[77] مارفين زونيس : روانشناسى نخبگان سياسى ايران ، ترجمه: پرويز صالحى و سليمان امين زاده ، تهران ، ١٣٨٧ ش .

[78] فريدون هويدا : سقوط شاه ، ترجمه : ح.ا مهران، تهران ، انتشارات اطلاعات ، ١٣٦٥ ش، ص ٨٥–٨٦.

[79] پدرام سهرابلو: وقادران بى اراده (نقش ارتش شاه در فروپاشى رژيم پهلوى ، گزارش،شماره ٢١٥، بهمن ، ١٣٨٨، ص ٦٨.

[80] راجع قراءة نص النداء من قبل الشاهنشاه الى الشعب الايراني بشكل مباشر من خلال شبكة التلفزيون الإيراني المسجل في يوتب:
https://www.youtube.com/watch?v=UrKBzJm5GrA

وعجل من امر استسلامه للموقف واتخاذ قرار الخروج من ايران في ١٦ كانون الثاني ١٩٧٩،[٨١] سيما وإنه ليس أول مرة يخرج الشاه فيه من ايران عند تأزم الأوضاع، لأنه جرب ذلك قبل أكثر من ربع قرن وبالتحديد في اواخر أيام حكومة مصدق عام ١٩٥٣.

سادساً: إنفتاح الأجواء الدولية وتقاعس الولايات المتحدة تجاه حليفها

يعتبر العامل الخارجي أحد العوامل المهمة والمؤثرة في سقوط الشاهنشاهية البهلوية وذلك بتفاعله مع جميع العوامل الأُخرى التي مهدت لصعود حمم السأم والعداء من النظام الى السطح وادت الى إنفجار بركان الثورة عام ١٩٧٩. وهنا بالذات لابد من الإشارة ولو بعجالة الى طبيعة العلاقات الإيرانية–الأمريكية وتأثيرها على الأوضاع الإيرانية آنذاك وخصوصاً في السنوات الاخيرة من حكم الشاه.

بدأت الولايات المتحدة تهتم بأيران وتعمل على تطوير العلاقات معها بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية، وكانت هذه العلاقات نابعة من أهمية موقع ايران الإستراتيجي والجيوبوليتكي المجاورة للأتحاد السوفيتي والمهيمنة على شواطىء الخليج و مسألة الطاقة عن طريق محاولة شراء النفط الإيراني، وقدمت الولايات المتحدة مساعدات كبيرة و كانت لها دور أساسي في مسألة خروج قوات الجيش الاحمر من ايران و منع تجزءتها والقضاء على حكومة آذربايجان وجمهورية كوردستان عام ١٩٤٦.[٨٢] وبعد صعود الحركة الديمقراطية ووصول الجبهة الوطنية الى الحكم وتراجع دور بريطانيا في ايران اثر قرار تأميم النفط، كادت الاحداث ان تعصف بالعرش الشاهنشاهي بعد هروب الشاه من ايران الى ايطاليا، تدخلت الولايات المتحدة و عن طريق (CIA) و عملائها في ايران حاكت نسيج مؤامرة كبرى عن طريق التخطيط لثورة مضادة المعروفة بعملية (آجاكس) قادتها كيرمت روزفلت والقيام بإنقلاب عسكري لإزاحة الدكتور مصدق عن الحكم في ١٩ آب ١٩٥٣.

وهكذا وصل الشاه الذي كان صانع قرار السياسة الخارجية لبلاده الى قناعة بأنه لايمكن مواجهة مشاكل ايران الداخلية والخارجية والسير بالبلاد الى حالة من الإستقرار والتطور وتغيير أوضاعها الاقتصادية والثقافية إلا بالإعتماد على الولايات المتحدة وتبعيتها، من هنا تطورت العلاقات الإيرانية–الأمريكية في الخمسينييات والستينييات بشكل ملحوظ، وأصبحت تلك العلاقات مع دولة حاجزة (Buffer State) بالنسبة للولايات المتحدة حجر الزاوية للسياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الوسط. إذ وفرت امريكا جميع المساعدات المالية والاقتصادية والعسكرية والمعنوية لإيران التي أرتبطت بالتحالف الغربي عن طريق احلاف أقليمية مثل حلف بغداد ١٩٥٥و حلف سنتو ١٩٥٩، وإتفاقيات ثنائية كأتفاق آذار ١٩٥٩ الذي بموجبه ضمنت امريكا تقديم جميع المساعدات لإيران، إضافةً الى تعهدها بالدفاع العسكري عن ايران كجزء من سياسة الحفاظ على المشروع السلام في الشرق الاوسط، في حالة تعرض الأخيرة الى أي عدوان خارجي.[٨٣]

وهكذا وصلت تلك العلاقات في عهد كل من (ليندون جونسون ١٩٦٣–١٩٦٩) و (ريتشارد نيكسون ١٩٦٩–١٩٧٤) الى ذروتها، و إن سياسة نيكسون ومستشار أمنه القومي (هنري كيسنجر)، كان بخلاف سلفه (جون كنيدي ١٩٦٠–

[81] شكست شاهانه ، ص ٢٨١.

[82] Borhanedin A. Yassin : Op. Cit.

[83] مارگ ج گازيورسكى ، المصدر السابق، ص ٦٥.

١٩٦٣) الذي يحث الشاه الإيراني دائماً في رسائله الى (ان ترتيب البيت من الداخل اولى من التسليح !)، فقد أكد نيكسون بهدف خفض التزامات ونفقات امريكا والتخلص من عجزها المالي، إمداد حلفاء الولايات المتحدة بأكثر أنواع الاسلحة التقليدية تطوراً للدفاع عن المصالح المشتركة ولذلك فتحت مخازن ومستودعات أسلحتها لتبيع أحدث وأقوى طراز من اسلحتها (غير النووية) الى ايران حسب اتفاقية سرية بين الجانبين عام ١٩٧٢،[٨٤] وحققت الرغبة التي استبدت بتفكير الشاه وهي أن يستغل المليارات من أرباح النفط وأن يجعل من ايران قوة عسكرية عظمى يحسب الآخرون لها حساباً. ولم يقف الامر عند هذا الحد، بل شاركت أمريكا من خلال سفارتها ومستشاريها المتواجدون في ايران بتجهيز وتقوية الأجهزة القمعية وتدريب الكوادر الأمنية للنظام في مواجهة وملاحقة المعارضة الإيرانية وخاصة اليساريين في الداخل الذين إعتبروا نظام الشاه أداة رخيصة في خدمة المصالح الغربية والدول الإمبريالية، وكذلك بالتدخل في شؤون دول الجوار وتمثيل دور الشرطي لصالح سياسات الولايات المتحدة و إسرائيل.

إلا ان هذه العلاقات القوية تناكصت بعد إنتخاب (جيمي كارتر ١٩٧٧–١٩٨١) كرئيس للولايات المتحدة الذي إنتقد الحكومة الأمريكية عام ١٩٧٦ بسبب بيع كميات كبيرة من الأسلحة لإيران، وجعل من مبدأ عدم بيع الأسلحة الامركية لدول التي لاتحترم حقوق الإنسان من ضمن دعايات حملته الإنتخابية وأكد عليه بعد فوزه، إذ تشوش الشاه شخصياً بعد ان ناقش الكونكرس الأمريكي مسألة بيع الاسلحة لإيران وإشترط عليها رعاية حقوق الإنسان،[٨٥] حيث إستغل عناصر المعارضة الإيرانية في الخارج هذه المسألة وإعتبرتها بداية تراجع دعم الولايات المتحدة للنظام وبدأت بنشاطات معارضة كالمظاهرات والإعتصامات في الخارج والتجمع امام السفارات الإيرانية. فقد إستغل المعارضون الإيرانيون زيارة الشاه وزوجته الى واشنطن في تشرين الثاني ١٩٧٧ وقاموا بمظاهرة كبيرة امام البيت الابيض، وأطلق البوليس قنابل تسيل الدموع وقع احداها أمام الشاه وداخل الحفل الذي أُقيم له، وقد أعاد التلفيزيون البريطاني صورة الشاه و فرح ديبا، وكارتر و زوجته وهم جميعاً يمسحون الدموع من عيونهم،[٨٦] وكان ذلك آنذاك مشهداً مؤثراً وبدى الشاه كانه يبكي حزناً على فقدان سنده وما ينتظر عرشه المهزوز في المستقبل القريب حقاً. على الرغم من ان جيمي كارتر كان على علاقة شخصية حميمة مع الشاه وقد زار ايران في ٣١ كانون الاول ١٩٧٧ قبل أن يبدأ الإضطرابات في طهران بأسبوع، ودون أن يدرك الوضع الحقيقي لإيران أكد في مؤتمر صحفي مع الشاه:" ان ايران تحت قيادة الشاه هي جزيرة استقرار في واحدة من اكثر المناطق إضطراباً في العالم، وهذا الإفتخار يا صاحبة الجلالة يعزى الى عظمتكم وعظمة قيادتكم و راجع الى مدى الإحترام و العلاقات المتينة الموجودة بينكم وبين شعبكم ".[٨٧]

في الحقيقة، يبدو ان حكومة الولايات المتحدة واجهزتها الإستخباراتية لم تكن منتبهة للمخاطر التي كانت تهدد بعصف عرش حليفها و لم تأخذ بها على محمل الجد، وإعتبر ما يحدث من مظاهرات دينية، وكساد إقتصادي الناتج عن تراجع سعر النفط، وكذلك إضراب العمال، مسائل مألوفة وإعتيادية في كثير من الدول، التي ربما كانت في بعضها أكثر شدة من ايران، إلا ان تلك الأجهزة لم تتفهم بعض المسائل على حقيقتها، كصورة الشاه ومكانته، ومدى قوة وتنظيم التيار الديني ونفوز زعيمه بين الشعب الإيراني، ولم تتنبأ بمساوىء تفاعل هذه المسائل ونتيجتها السلبية على مستقبل حليفها،[٨٨] وبعد ان اشتدت المواجهات وامتدت المظاهرات الى كثير من المدن الإيرانية، تنبهت اميركا وسارعت من خلال سفيرها (وليم

[84] مرتضى برشنده : عوامل مؤثر در گسترش روابط نظامی ایران و آمریکا در دوران نیکسون و پیامدهای آن. مجله مطالعات تاریخی ، شماره ٢٩ ، تابستان ١٣٨٩، ص ١٦٩–١٧٢.

[85] ژن فورن: المصدر السابق، ص ١٣٦.

[86] زهير ماردیني : المصدر السابق ، ص٤٤–٤٥.

[87] وليم شوكراس، آخرين سفر شاه ، ترجمه: عبدالرضا هوشنگ مهدوی ، ناشر البرز، ١٣٧٠، ص١٥٥– ١٥٦.

[88] للمزيد:

Charles Kurzman: *The Unthinkable Revolution in Iran, Harvard University press, 2004* ., The Fall of the Shah of Iran: A Chaotic Approach , *National Security Agency : https://www.nsa.gov/public_info/_files/cryptologic_quarterly/the_fall_of_the_shah_of_iran.pdf*

سوليفان) و (الجنرال هايزر) نائب القائد العام لقوات الحلف الشمال الأطلسي (NATO) بالقيام ببعض الإجراءات لتفادي سقوط الشاه، إلا ان الوقت أصبح متأخراً جداً، وأقتنعت بأن الثورة قد حدثت فعلاً وان التغيير لا محال ولا مستقبل للشاه في أيران، حينذاك، بدأت الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين بالإجتماع في مؤتمر "گوادلوب" في ٤ كانون أول ١٩٧٩ و قرروا التعامل مع الوضع الجديد، كل ذلك الذي إعتبره الشاه في مذكراته كإتفاق غربي على إبعاده.[٨٩] وهكذا، تقاعس الدول العظمى وعلى رأسها امريكا من أية عمل جدي لمنع سقوط الشاه، وكان الموقف الدولي منذ البداية ايجابياً لصالح التغيير والمعارضة.

قائمة المراجع:

الفارسية:

– احسان طبری: کژراهه : خاطراتی از تاریخ حزب توده ، انتشارات امیر کبیر، تهران ، ١٣٦٦، ص ٥٠

– احمد کسروی، تاریخ مشروطه ایران، تهران، ١٣٧٩ ؛ محمد اسماعیل رضوانی، انقلاب مشروطیت ایران، تهران، کتابخانه ابن سینا، ١٣٤٤ ؛ ایوانوف م.س ، انقلاب مشروطه ایران ، ترجمه : کاظم انصاری ، انتشارات بابك تهران ، ١٣٥٤ش.

– احمد نقیب زاده: دولت رضاشاه و نظام ایلی، چاپ اول، انتشارات مرکز اسناد انقلاب اسلامی، تهران، ١٣٧٩ش ، ص ١٨٢–١٨٤.

– امجدی خلیل : ساواك (زندان ز زندانیان سیاسی) ، مجله شاهد یاران ، شماره ٣ ، بهمن ١٣٨٤ش ، ص ٤–٩.

– انور خامه : خاطرات سیاسی (پنجا و سه نفر) ،تهران ، ١٣٧٢، بزرگ علوی : ٥٣ نفر ، تهران ، انتشارات جاویدان .

– آیت الله کاشانی، فدائیان اسلام و نهضت ملی شدن صنعت نفت : گفت و گو با حجت الاسلام والمسلمین حسن مهاجری شریف یزدی (یزدی زاده)؛ مجله پازده خرداد ، شماره ٢٢، زمستان ١٣٨٨ش، ص ٣٧٩–٣٨٦.

– ایران میرفندرسکی : تاریخ سیاه (تاریخ ٣٧ ساله فساد پهلوی) ، تهران، ١٣٨٧ش، ص ٢٠٩–٢٥١.

– تقی زاده ارمکی و فرهاد نصرتی نژاد: تبین جامعه‌شناختی شکل گیری دولت مطلقه مدرن در ایران، مسائل اجتماعی ایران، سال اول، شماره(١)، تابستان ١٣٨٩.

– پدرام سهرابلو: وفادران بی اراده (نقش ارتش شاه در فروپاشی رژیم پهلوی ، گزارش،شماره ٢١٥، بهمن ، ١٣٨٨، ص ٦٨.

– پیروز مجتهدزاده : پیدایش هویت ایرانی و مفهوم کشور در ایران ، پژوهشهای جغرافیای انسانی، دوره ٤٥، شماره ٢، تابستان ١٣٩٢.

– جان فورَن ، نظریه پردازي انقلاب ها، ترجمهء: فرهنگ ارشاد، نشر نی، ١٣٨٢، ص ٢٧٣.

– حسین بروجردی : آرانی فراتر از مارکس ، تهران ، ١٣٨٢.

– حسین حسینی : رهبری و انقلاب (نقش امام خمینی در انقلاب اسلامی)، تهران، ١٣٨١.

– حسین شمسینی غیاثوند: پهلویها و سلطانیسم ماکس وبر (بررسی نظریه "سلطانیسم" ماکس وبر در تحلیل ساختار حکومت پهلوی، مجله زمانه ، شماره ٢٢، تیر ١٣٨٣.

– حسین فردوست ، ظهور وسقوط سلطنت پهلوی ، جلد أول، چاپ دوم ، تهران ، ١٣٧٠ش .

– خسرو شاکری: پیشینه‌های اقتصادی–اجتماعي جنبش مشروطیت و انکشاف سوسیال دیموکراسي ، تهران، اختران، ١٣٨٤ .

– خلیل الله سردارپنا ، تبیین ساختاگرای سیاسی – اقتصادی از فساد اقتصادی در ایران (پهلوی دوم) ، مجله علوم سیاسی، شماره ٦، بهار ١٣٨٦.

– دکتر سید جلال الدین مدنی ، تأریخ سیاسی معاصر ایران ، جلد أول ، دفتر انتشارات اسلامی ، قم، ١٣٦١ش.

– ژان فورن: تحلیلی از انقلاب ایران ، ترجمه: سید صدرالدین موسی ، پژوهشنامه‌ی متین ، شماره ١٩، تابستان ١٣٨٢ش.

– سینا واحد : قیام گوهرشاد، وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی، اداره کل انتشارات و تبلیغات ، چاپ اول ، ١٣٦١ش.

– عبدالکریم تبریزی : میرزا شیرازی و حماسة تنباکو، مجله مبلغان، شماره ٦٦، اردیبهشت و خرداد ١٣٨٤.

[89] محمد رضا پهلوی: پاسخ به تاریخ، به کوشش شهریار ماکان، چاپ سوم، نشر پیکان، تهران، ١٣٧٧، ص ٢١٤–٢١٩.

– عبدالهادی حائری: تشیع و مشروطیت در ایران و نقش ایرانیان مقیم عراق، تهران ١٣٦٤ ؛ دکتر جمشید فاروقی ، روحانیون سیاسی یا اسلام سیاسی– چند نکته پیرامون نقش روحانیون در انقلاب مشروطه، فصلنامه تلاش ، ١٥ مرداد ١٣٨٥.
– علی حقجو: تحلیلی بیطرفانه از: سازمان مجاهدین خلق ایران، انتشارات روج، مرکز پخشن ناصرخسرو، ب.ج، ب.ت.
– علیرضا کلانتر مهر جردي: جریان شناسی لیبرالیسم در ایران : انقلاب مشروطه تا انقلاب اسلامی، تهران ، ٢٠٠٩ .
– علیرضا ملائي توانی:کودتای ٢٨ مرداد و تغییر در نظام سیاسیی و فکری ایرانیان، مجله علوم سیاسی ، سال هفدهم ، شماره ٦٦، پایز ١٣٨٦ش.
– عیسی صدیق: تاریخچه و فلسفه انقلاب سفید ،مجله وحید ، شماره ١٠٩ ، دي ١٣٥١ش، ص ١٠٧١–١٠٧٥.
– عیسی علی پنا : ظهور و افول نهضت آزادی ایران (مانده از عافیت ، رانده از قدرت، مجله گزارش ، شماره ١٤٧ ، خرداد ١٣٨٢ش.
– غلام رضا نجاتی : تاریخ سیاسی ٢٥ ساله ایران (از کودتا تا انقلاب)، تهران، ١٣٧١ش ، ص ٣٨٢.
– فاطمة غلامی مقدم: اندیشه سیاسی فدائیان اسلام ، تاریخ پژوهی ، شماره ١٨، بهار ١٣٨٣ش .
– فریده دیبا : دخترم فرح (خاطرات فریده دیبا) ، ترجمه : الهه رئیس فیروز، تهران ، ١٣٨٢.
– فریدون هویدا : سقوط شاه ، ترجمه : ح.أ مهران، تهران ، انتشارات اطلاعات ، ١٣٦٥ ش .
– گروهی از پژوهشگران : سازمان مجاهدین خلق (پیدایی تا فرجام ١٣٤٤–١٣٨٤) ، بازنشر: بوکیها.
– مارگ ج گازیورسکی ، سیاست خارجی آمریکا وشاه . بنای دولت دست نیشانده در ایران ، ترجمه : فریدون فاطمی ، چاپ أول ، سعدی ، نشر مرکز ، تهران ،١٣٧١ش .
– مارفین زونیس : روانشناسی نخبگان سیاسی ایران ، ترجمه: پرویز صالحی و سلیمان امین زاده ، تهران ، ١٣٨٧ ش .
– ماروین زونیس : شکست شاهانه (روانشاسی شخصیت شاه) ، ترجمه: عباس مخبر، چاپ أول، تهران، ، ١٣٦١.
– مجتبی مقصودی: قومیت ها و هویت فرهنگ ایرانی، مجله نامه پژوهش فرهنگی ، شماره ٢٢ و ٣ ، پاییز و زمستان ١٣٨٠ش.
– محمد امیر شیخ نوری : لایحه امتیاز نفت به کنسرسیوم ، مجله زمانه ، شماره ٦٩ ، خرداد ١٣٨٧.
– محمد حسین منظور الاجداد : فدائیان اسلام ، مجله گفتوگو، شماره ٢٩، پایز ، ١٣٧٩ش.
– محمد رضا پهلوی: پاسخ به تاریخ، به کوشش شهریار ماکان، چاپ سوم، نشر پیکان، تهران، ١٣٧٧.
– محمد علی همایون کاتوزیان: اقتصاد سیاسی ایران ، ترجمه: محمد رضا نفیسی و کامبیزی عزیزی ، نشر مرکز، تهران، ١٣٧٤ش.
– مرتضی برشنده : عوامل مؤثر در گسترش روابط نظامی ایران و آمریکا در دوران نیکسون و پیامدهای آن. مجله مطالعات تاریخی ، شماره ٢٩ ، تابستان ١٣٨٩.
– مسعود غفاری و علی اصغر قاسمی: نقش جنبش جوانان در گذار به دمکراسی در ایران ١٣٥٠–١٣٨٠ش، مجله علوم اجتماعی و انسانی دانشگاه شیراز، شماره ٤٧، تابستان ١٣٨٥.
– مظفر شاهدی : داستان عضو حزب رستاخیز ، مجله تاریخ معاصر ایران ، شماره ٤٤ ، زمستان ١٣٨٦ش.
– منصور معدل: طبقه ، سیاسیت و ایدیواوژی در انقلاب ایران ، ترجمه: محمد سالار کسرائی، تهران ، ١٣٨٢ .
– مهدی رهبری، متجددان ایرانی و تجدد در عصر مشروطه (بررسی پیدایش جدال های فکری در ایران جدید ، فصلنامه مطالعات ملی، شماره ٤، سال هشتم ، ١٣٨٦ش.
– موسی نجفی : مقدمات فکری و سیاسی پیدایش دوران پهلوی و مسئله دین و دولت و تجدد ، مجله تاریخ معاصر ایران ، شماره ١٥ و ١٦، پایز و زمستان ١٣٧٩.
– ناصر امینی : یادمانده ها از حزب مردم و حزب ایران نوین ، مجله حافظ ، شماره ٥٥ ، مهر ١٣٨٧ش.
– نفیس واعظ (شهرستانی): سیاست عشایری دولت پهلوی اول، چاپ اول، نشر تاریخ ایران، تهران، ١٣٨٨ش،
– نورالدین کیانوری : خاطرات نورالدین کیانوری، مؤسسه تحقیقات و انتشارات دیدگا ، تهران، ١٢٧٢ ش .
– ولیم شوکراس، آخرین سفر شاه ، ترجمه: عبدالرضا هوشنگ مهدوی ، ناشر البرز، ١٣٧٠.
– یحیی فوزی : عوامل ساختاری مؤثر بر رخداد انقلاب اسلامی در ایران، مجله علوم سیاسی، شماره ٢، بهارو تابستان ١٣٨٥.
– یرواند ابراهامیان، ایران بین دو انقلاب، ترجمه : کاظم فیروزمند ، حسن شمس نوری و محسن مدیر شانهچی ، نشر مرکز ، ١٣٨٠ش.

العربية:

– احمد یوسف: الاخوان المسلمون و الثورة الاسلامية في ایران (جدلية الدولة والأمة في فكر الإمامين البنا والخميني)، تقديم: محمد الهندي، یونیو، ٢٠١٠.
– أدور سابلیه ، ایران مستودع البارود ، ترجمة عبدالمنعم حسنین ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
– أمل حمادة: الخبرة الإیرانیة (الانتقال من الثورة الی الدولة)، بیروت ، ٢٠٠٨.
– حامد الجار: الاسلام كآیدیولوجیة– فكر علي شریعتی، مجلة المسلم المعاصر ، العدد٣٤، ربیع الثاني و جمادي الاولی و جماد الثانیة ١٤٠٣.
– روبرت جراهام ، ایران : وهم السلطة . اجابة مبكرة لسؤال الساعة . لماذا سقط الشاه والعرش ، عرض :فیلیب ، جلاب ، العربی ، العدد ٢٤٦، مایو ١٩٧٩.
– روح الله الموسوي الخميني: الحكومة الاسلامية، ترجمة وتقديم: حسن حنفي، القاهرة، ١٩٧٩.
– ریتشارد دبلیو گوتام ، القومیة فی ایران ، ترجمة : فاضل الخفاجی ، مراجعة : الدكتور علی محمد المیاح . بغداد ، ١٩٧٨ .
– زهیر ماردیني: الثورة الایرانیة بین الواقع والاسطورة، بیروت ، ١٩٨٦.
– علي الحسیني: سنة ایران (دراسة سوسیوسیاسیة في احوال تشكل الوعي الجماعي للطائفة، في: اهل السنة في ایران، مجموعة باحثین، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الطبعة الاولی، ٢٠١٢.
– فرح صابر: رضا شاه بهلوي (التطورات السياسية في ایران ١٩١٨–١٩٣٩) ، منشورات مركز كردستان للدراسات الاستراتیجیة، سلیمانیة، ٢٠١٣.
– فیصل عبد الجبار عبد علي، التاریخ السیاسي للمؤسسة الدینیة في إیران ١٥٠١–١٩٠٩، رسالة ماجستیر قدمت إلی معهد الدراسات الآسیویة والافریقیة – الجامعة المستنصریة، ١٩٨٨م.
– كریس هارمان: النبي والبروليتاريا، ترجمة: مركز الدراسات الاشتراكية، ١٩٩٦.
- محمد رسن دمان السمطاني : موقف المؤسسة الدينية تجاه سياسة الشاه محمد رضا بهلوي الداخلية (1962-1964) ، مجلة كلية التربية الاساسية، العدد١١، آذار ٢٠١٢.

الأجنبية:

- Benedict Anderson: Imagined Communities: Reflection on the Origin and Spread of Nationalism, London, 1983, p102.
- Borhanedin A. Yassin : *Vision or areality. The Kurds in the Policy of the Great Power 1941-1947,pp 174-185.*
- Charles Kurzman: *The Unthinkable Revolution in Iran***,** *Harvard University press, 2004 .,* The Fall of the Shah of Iran: A Chaotic Approach , *National Security Agency : https://www.nsa.gov/public_info/_files/cryptologic_quarterly/the_fall_of_the_shah_of_iran.pdf >* May 1982.
- N. Jameel , The great French Revolution and establishment of concept (Law) and Freedom in Iran (second half XIX Perespectiv)Tbilisi, 2007 .
- Pesaran, M. Hashem. 1985. "Economic Development and Revolutionary Upheavals in Iran," in Haleh Afshar, ed., Iran: A Revolution in Turmoil, London: Macmillan: 15-50.
- Rotsow , W.W The Stages of Economic Growth : A Non-Communist Manifesto , Cambridge University press,1966.
- Roy Mottahedeh, The Mantle of the Prophet: Religion and Politics in Iran (New York: Simon and Schuster, 1985).
- Shahrough Akhavi: The Ideology and Praxis of Shi'ism in the Iranian Revolution , *Comparative Studies in Society and History*, Volume 25, Issue 2, 1983, pages 195-221, Cambridge University Press.
- Theda Skocpol: Rentier State and Shi'a Islam in the Iranian Revolution, Theory and Society Vol 11,

العوامل الأساسية في إندلاع الثورة وسقوط النظام الشاهنشاهي في ايران (١٩٧٩)

من الواضح بأن الثورة الإيرانية (١٩٧٨– ١٩٧٩) تعتبر من الاحداث البارزة والمهمة جداً في تاريخ ايران الحديث بشكل خاص و في تاريخ الشرق الاوسط والمنطقة والعالم بشكل عام، اذ ساهمت جملة من العوامل الداخلية والخارجية المتعددة في خلق ارضية ثورية انطلقت منها حركة جماهيرية واسعة اشتركت فيها مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية من الشعوب الخاضعة للحكم الشاهنشاهي البهلوي في ايران يجمعها هدف واحد وهو إسقاط النظام الإستبدادي الشاهنشاهي وإزاحة محمد رضا بهلوي عن الحكم. وقد ركز البحث على دراسة البنية السياسية المغلقة للنظام وكذلك التناقضات الإقتصادية والإجتماعية ومسألة مشاكل الهوية الثقافية داخل مجتمع الإيراني، كما وضح البحث تأريخياً دور المعارضة الإيرانية في مواجهة النظام وزلزلة اركان مشروعيته، ودرس ايضاً شخصية محمدرضا شاه بهلوي من الناحية النفسية والسلوكية والتي كانت سلبية وافتقدت الى الأركان الضرورية في الشخصيات القيادات التحويلية التأريخية. وفي ختام البحث تم الإشارة الى العلاقات الإيرانية–الأمريكية وتأثيرها على مصير الشاه في ايران.

The Main factors of the Revolution and the fall of the Pahlavi regime in Iran 1979

It is clear that the Iranian Revolution (1978- 1979) is considered one of the prominent and very important events in the history of Iran in particular, and in the history of the Middle East region and the world in general, as it contributed a number of internal and external factors in creating a revolutionary ground for wide mass movement which involved different Social classes and categories of the peoples under the rule of Pahlavi regime in Iran that collected for one goal: to overthrow the authoritarian regime and the fall of Mohammed Reza Pahlavi from power. The research is concentrated of the closed and harsh system of regime political structure, as well as the economic and social contradictions and problematic cultural identity within the Iranian society has focused, also the research had explained the historical role of the Iranian opposition against the Shah and the loss of his regime legitimacy among the Iranian peoples. Also the research studied the personality of Mohammad Reza Shah Pahlavi from psychological and behavioral terms, which were negative and lacked to the necessary Diagnostic characters of great political leaders in the history. In the end, we refer to the Iranian-American relations and their impact on the fate of the Shah in Iran.